Takhareaf
حكايات
بقلم
هشام رمضان شحاته
Hr RaZ

أنا قائد؟!
فلسطين!
هل أستطيع السيطرة على الناس بعقلي ؟
العقل
مراد
مريض نفسي
رحمة!
سارة
سلوى!
من أنا ؟!
معاذ

الفهرس

مقدمة 4

الحكاية الأولى (الحاسة السادسة) 7

الحكاية الثانية (الحروب).....26

الحكاية الثالثة (رئيس دولة) 41

الحكاية الرابعة (الحقيقة) 51

خاتمة.....70

مقدمة

عليك أن تثق بى وتنصت جيدا لما سأخبرك به فى الصفحات القادمة!..... وكما تعلم عنّي ؛ أنني أصمت كثيرا ، ولا أتحدث أبدا..... أمّا عن هذه الفقاقيع التى تراها ؛ فأنا لست المسؤول عنها ، هى تخرج من رؤوس الناس من تلقائها ، ولديها أصواتا صاخبة جدا!.....

كل هذا لا يهم ، والمهم هو أنك تثق بى ، وتعلم أني لست مريضا نفسيا أتعاطى أدوية لا يمكن قراءة أسمائها إلا بصعوبة.....

سأخبرك عن الجيش الذى يدعم فلسطين فى الخفاء ، من غير أن يره أحد ، أنت تُصدقني ، أليس كذلك ؟.....

سأصطحبك معى إلى قصري الرئاسي ، وأُضيّفك تمام الضيافة فيه ، فلا تقلق ستأكل من تلك الثمار الشهية ، والمأكولات النادرة.....

المهم كما أخبرتك سالفا ؛ أن تثق بى فقط للنهاية.....

فأنا أحتاج شخصا مثلك ،

ولن أخبرك بذلك الذئب الذى أراه ورائك يريد إلتهامك ؛ حتى لا تخف ، وأنت لن تنظر إليه ، أليس كذلك ؟.....

ولتعلم أنك إن وثقت بى سأدافع عنك من هذا الذئب ، وإن لم تثق ؛ فلربما كنت أنا الذئب من خلفك! ،

رغم حوجتى إليك بجانبى ، ولكن لا خير فى شخص لا يثق بى!.....

صدقني ، أنا لست مريضا!

"لنبرز"

كان صغيرا يحب اللهو مع أصدقاءه ، كل ليلة يجتمعون معا ؛ ليقرروا ماذا ستكون لعبة اليوم التى سيمارسونها ، وحين يتنهى الجدال بعد الكثير من الحماس للعبة كذا ، والكثير للعبة الأخرى وهذه أفضل ، لا لا هذه لعبناها البارحة ؛ يكون قد فقد كل منهم جزءا من حماسه للعب ، ولكنهم أخيرا قد توصلوا إلى اختيار لعبة اليوم ؛ كلهم سيختبئون وواحد منهم سيبحث ليجدهم (استغماية).....

بدأت اللعبة وكان صاحبنا هو الذى وقع عليه الإختيار لإيجادهم ، وحين فرغ من عَدّه نظر خلفه فلم يجد أحدا منهم وسعى يبحث.....

كان الوقت ليلا ، فلربما اختبئ واحد خلف حائط أو فى ظلمة لم يستطع صاحبنا الإمساك به ، يسير والحماس يملئ قلبه والنداءات من حوله ؛ انظر يمينك ، لا يسارك ، لا بل انظر خلفك ، لا أمامك وهو يدور فى الإتجاهات عساه أن يجد أحدا.....

رأى أمامه شارعا مظلما لا يكاد يُرى من يدخله ، ففكر بأن واحد قد يكون اختبئ فيه ، ها هو يسير باتجاهه وعندما اقترب من الوصول سمع صوت رجل عجوز يأتى من داخله ، فتقدم وقدماه بدأت ترتجف ، إلى أن اقترب من دخوله فسمع من يقول له: لن تجد أحدا من أصدقاءك هنا ولا تخف من سماع صوتى فأنا رجل عجوز لا أقدر على القيام ، اقترب صاحبنا من مصدر الصوت وهو خائف ، وعندما أَلِفت عينيه الظلمة وبدأ يرى ، رأى رجلا يجلس على الأرض يكسو شعره الشيب ، يرتدى ملابسا بالكاد تستر جسده ، ولكنه كان يملك عينين سوداوتين تلمع فى الظلام.....

اقترب صاحبنا منه وسأله أين ذهب أصدقائى؟ ، أجابه الرجل بأنه لا يهتم بلعبتهم السخيفة هذه وأظنك أنت أيضا يا بنى أليس كذلك ؟!..... وما أدراك أنت باهتمامى يا جدى ؟!..... فصوب الرجل عينيه بتركيز لعينى الصبى وقال : أعرف أنك لم تحب هذه اللعبة ، وأردت لعبة أخرى حين تجادلتم قبل اللعب للإختيار بين ألعابكم ، فهذه التى اخترتموها لم تعجبك لأنها كانت ذات الإختيار بالأمس القريب ، وأنت مللت منها أليس كذلك ؟..... نعم هو كذلك ولكن كيف عرفت كل هذا؟!....هل كنت تستمع إلينا ؟..... لا يا بنى فأنا كما ترانى قد انحنى ظهرى ولا أهتم بألعابكم السخيفة هذه ، ولكن إذا أردت أن تعرف أمورا هى أشد غرابة من هذا الأمر فعليك أن تأتى لتجلس معى من حين لآخر هنا ، فكما ترى أنا أعيش وحدى وهذا الشارع لا يدخله أحد إلا بين الحين والحين!.....

صوت شديد الصراخ كان يأتى من خارج الشارع ، بل أصوات مجتمعة تردد ذات الإسم معا ، إنهم أصدقاء الفتى يبحثون عنه وهم غاضبون من أنه لم يسع لإيجادهم ، وقد خالف قوانين اللعبة! ، إلتفت الفتى ناحية الصوت ، فذهب مسرعا إليهم مرددا بعض الإعتذارات التى لم يقبلها أحد منهم إلا بشرط واحد ؛ وهو أن يعاقبوه جميعهم.... (والعقاب كان أن يضربه كل واحد منهم

بصفعة على قفاه ، أو بركلة جانبية وأخرى خلفية ، ومنهم من شعر بطيبته - بعد صفعة كانت تأتيه قوية من أحد الأشخاص - فسامحه وتنازل عن دوره...)

كان يشغل الفتى ذاك الرجل الذى رآه فى الشارع المظلم ، وما يفيقه كانت صفعة قوية أو ركلة تسبب له ألما ، إلى أن انتهوا من عقابهم وافترقوا جميعهم كل واحد إلى منزله ، فلقد انتهت لعبة اليوم واتفقوا على الإجتماع غدا ليختاروا لعبة أخرى يمارسونها ، عدا صاحبنا هذا لم يذهب إلى بيته بل أراد أن يعود مجددا إلى ذات الشارع المظلم ؛ فعينا الرجل اللامعتان لازالتا عالقتان فى ذاكرته ، وكأنه يريد أن يرهما مجددا!.....

تتبع معالم الطريق المؤدية لذاك الشارع وها هو ذا يصل إليه ، ثم يبطئ من خطوات سيره وعلامات الدهشة ترتسم على وجهه ؛ لقد رأى ذات الرجل يسير ببطئ ليدخل الشارع وعيناه تنظران لعينى الفتى!.....

من غير تردد ولّى صاحبنا مسرعا إلى منزله وهو يلهث ويحاول إلتقاط أنفاسه بصعوبة ، وحين وصل ؛ تلقّاه والده منذرا إياه بألا يتأخر مجددا ، وإلا لاقى من العقاب ما يستحق!.....

الحكاية الأولى

(الحاسة السادسة)

(Extra sensory perception)

عاد ماجد من مدرسته بعد يوم مليئ بالتعب من المواد الدراسية تارة ، ومن اللعب مع أصدقاءه تارة أخرى..... حياة ماجد كانت ممتلئة بالسرور والبهجة ؛ فمعيشة أسرته ميسورة الحال ويسكنون فى منزل أمامه مساحة شاسعة من الأشجار والمناظر الجميلة ، والمنزل يتكون من طابقين وكل طابق منهما هو أكثر جمالا من الآخر.....

فى الصباح الباكر يستيقظ ماجد من نومه فيرتب سريره كما عودته والدته ، ثم يقوم ببعض التمارين الصباحية التى تعمل على تنشيط دورته الدموية وتشعره بانتعاش الصباح كما أخبره والده ، وبعدها يطرق باب غرفته ليجد أمه تقدم له الفطور ، وحين يحدث كل هذا فهو بلا شك يوم عطلة الأسبوع.....

يبدأ ماجد بتناول فطوره ثم يأخذ كوب الحليب ويذهب به إلى حديقة المنزل ، يجد والده جالسا على مقعد جميل ، مرتديا نظارة القراءة ، وممسكا بكتاب يقلب صفحاته.....

(لِما لا يشترى لى نظارة مثله فأنا أريد أن أقرأ أيضا....) أنهى ماجد كوب الحليب واقترب من مجلس والده ممسكا بكتابٍ هو الآخر ولكنه ينظر لوالده ليس إلى الكتاب..... لاحظ الأب ذلك ولكنه قرر أن ينتظر.....

يتحرك ماجد حركات عشوائية محاولا بها إثارة إنتباه الوالد ، وحين لا يجد من ذلك نتيجة يتكلم أخيرا..... (هلّا أحضرت لى نظارة مثلك ؟..... وماذا ستفعل بها ؟..... كما تفعل أنت ، سأقرأ!..... وهل القراءة تحتاج لإرتداء نظارة ؟..... لا أعرف ، ولكنك ترتديها كلما تقرأ إذن هى ربما تحتاج..... وهل نحكم على الأشياء لمجرد رؤية غيرنا يمارسونها بطريقة ما ؟.....(؟؟؟)..... إذن قم الآن فلقد انتهى درس اليوم!..... ولكنى لم أفهم بعد ما المغزى من هذا الدرس !!..... ستفهم قريبا!.....)

قام ماجد لينصرف وعلى وجهه علامات الغضب ؛ لأنه لم يفهم شيئا مما قاله الوالد!.....

وفى اليوم التالى يعود للدراسة مع أصحابه ليفتتح المدرس يومهم بعنوان الدرس (القراءة)...

إن القراءة يا أولاد لهى غذاء للعقول ، وهى كافية لأن تجعلك تعيش حياة أخرى بجوار حياتك ، بل فى الواقع تجعلك تعيش حياوات.....

انتهى الدرس وانتهى المعلم من مدح القراءة ، - وكما هو المُتَوقَّع - لقد شعر الجميع بالملل والنعاس ، وحين دق جرس إعلان نهاية اليوم الدراسى ، فر التلاميذ من أماكنهم وكأنه حُكم البراءة قد أصدره القاضى عن مجرم ظن أنه ميتا لا محالة!.....

نهاية هذا اليوم الدراسية كانت باكرة بعض الشيء ، وأثناء عودة ماجد لمنزله مر على ذاك الرجل العجوز الذى رآه فى ليلة ما حين كان يلعب مع أصدقاءه.....

(لا تخف فلن أدعك تتأخر عن موعد عودتك !).....ولكن ماذا تقول؟!..... ومن الذى أخبرك أنى خائف من التأخير ؟!..... من أنت وكيف عرفت كل هذا ؟!.....

لا يهم يا بنى من أنا ، ولكنى سأخبرك بأمر هام جدا.....

والدك كان يقصد تعليمك أن لا تمارس فعل شيء بناء على ممارسة شخص آخر لهذا الشيء ، ولكن يمكنك التعلم منه إن أردت ذلك.....

فحين كان والدك يقرأ وهو مرتديا النظارة ؛ كان يمكنك التعلم أن القراءة تحتاج لإرتداء النظارة ، ولكنك حين تبدأ القراءة بغيرها ؛ فأنت تثبت لوالدك أنك تعلمت.....

اندهش الفتى من سماع قول الرجل ومن شدة دهشته جلس على الأرض وهو لا يشعر أنه جلس!.....لكن!!..... كيف عرفت كل هذا وانت.....وانت لم تكن معنا حتى؟!.....

بلى يا بنى لم أكن معكم ، ولكنى قرأت أفكارك..... قرأت ماذا ؟!....وكيف فعلت ذلك ؟!...

حسنا! ، سأحكى لك.....

(1)

" عندما كنت صغيرا أحببت أن لا أصير مثل الآخرين ، فالجميع يُولد ، والجميع يكبر ، ويتزوج ، وينجب أولادا ، ثم يموت..... ما الفائدة من حياته ؟..... لا شيء!..... غير أنه أنجب غيره ليفعل مثل فعله ، فما الفائدة من حياة مثل هذه!..... لا فائدة!.....

سمعت أناسا كثيرين يتحدثوا عن شيء خارق للعادة اسمه العقل الباطن ، وأن كل إنسان بداخله عقل باطن ولا يستطيع التحكم فيه ، لكنه يستطيع التحكم فى الإنسان فى بعض الأوقات.....

بحثت كثيرا عن معنى هذا المصطلح وكيف يتحكم فى الإنسان ، وقرأت كثيرا من الكتب التى تتحدث عنه ، وما لم يجعلنى يائسا من محاولاتى ؛ هو إصرارى الدائم على الوصول ، وأنى كنت أتخيل نتيجة محاولتى التى ستنجح حين أصل إليها.....

مرت الأعوام وأنا ما زلت أمتلك إصرارى ، بل وكلما مر الوقت أكثر كلما ازداد إصرارى إلحاحا أكثر..... إلى أن قابلت أثناء دراستى فى الجامعة ؛ دكتورا قد شرح لنا فى إحدى محاضراته عن أهمية العقل الباطن وما دوره فى الحياة.....

لم أكن باستطاعتى وقتها وصف سعادتى بوجوده ؛ لأنه الشخص الذى حين أسأله سيفهم سؤالى على الأقل ، وإن لم يكن يعرف الجواب.....

تواصلت معه ، وأخيرا اتفقنا على ميعاد أقابله فيه عند مكتبه..... وحين ذهبت له وطرحت عليه سؤالى لم يكن جوابه سوا صوت عال من الضحكات الهستيرية ، ومن طرقات يده على المكتب معلنا أنه قد وصل إلى قمة نشوته من الضحك.....

وحين انتهى من ضحكه أخيرا ، قال لى: كيف تريد أن تتحكم فى عقول الناس عن طريق عقلك الباطن هذا ، وأنت لا تستطيع التحكم فيه أصلا !..... إذن أخبرنى يا دكتور كيف أتحكم فيه ؟.....لا لن اخبرك لأنك لن تستطيع ، ولأنى لا أعرف أيضا!..... ثم عاد يضحك مجددا. "

والآن يا ماجد عليك أن ترحل ؛ فلقد انتهى الوقت الرسمى لموعد نهاية اليوم الدراسى ، فعليك أن تعد كى لا يعاقبك والدك كما أنذرك فى ذات الليلة التى قابلتنى فيها.....

من كثرة إندهاش ماجد من تلك المعلومات التى أخبره بها الرجل فى وقت واحد لم يستطع سؤاله عن أي منها!.....

(ولكن كيف عرف اسمى وأنا لم أخبره ؟!... وكيف أخبرنى بإنذار والدى وأنا لم أحكى له شيئا عن هذا؟!..... ثم والأدهى من ذلك كيف علم بأنى فى ذات الوقت الذى أخبرنى فيه بكل هذا

كنت أفكر فى تأخيرى إن حدث والعقاب الذى سينتظرنى؟!!!!!!....) كل هذه الأسئلة كانت تجول فى عقل ماجد حينها ، ثم قال له الرجل: سأجيبك عن كل هذه الأسئلة ، كل ما عليك هو أن تأتى لتسمع الإجابة.....

عاد ماجد لمنزله ، ولم يلحظ أحد أنه تأخر ؛ لأنه نفس الموعد الذى يعود فيه كل يوم..... لا زالت تلك الأسئلة عالقة فى ذهن ماجد ، ولم يستطع حتى التفكير فى جواب لها ؛ فهذا شيء لا يُعقَل من الأساس ، بل ويتهم نفسه أحيانا بأنه كان يحلم ، وأن كل هذا لم يكن حقيقيا!.....

مرت الأيام وانشغل ماجد عن أمر ذاك الرجل إلى أن أتى يوم العطلة الدراسية.....

كعادته يستيقظ ليرتب سريره ويمارس بعض التمارين الصباحية كما علمه والده ، ثم يتناول فطوره ويأخذ كوب اللبن ويذهب به إلى الحديقة ليجلس بجوار والده.....

جلس ماجد بجوار والده ولكن هذه المرة لم يكن يفعل الحركات العشوائية التى فعلها فى السابق ، بل كانت حركات تدل على أنه مهتم بشيء ما ، فنظر إليه والده ليجده مصوبا نظره إلى الكتاب الذى فى يده ويقرأ بصوت كالفحيح ، بدون إرتداء نظارة ، وأيضا بدون سؤال والده عن إحضار واحدة له!.....

(2)

لطالما كانت الطفولة مليئة بالحيوية والمرح الكافيين لجعل كل طفل فى الحياة يسعد فى لحظات ، ويحزن فى أخرى ، وينسى فى لحظات ، ويتذكر فى أخرى.....

فما كان من صاحبنا غير الإنهماك فى دراسته ولعبه مع أصدقاءه ، واستماع تلك الدروس الأسبوعية التى يعطيانها له والديه.....

كان قد انتصف يومه الدراسى وأوشك على الإنتهاء ، يجلس على مقعده ذلك الأستاذ الذى دائما ما يتحرك بشيء يصاحبه فى فمه ، ولا يتذكر أحد أنه رآه بغيره ذات مرة ولو بالصدفة!.....

على المدرس أن لا ينسى أنه لا يؤدى واجبه فقط تجاه التلاميذ ، فهو - إن كان يشعر أو لا يشعر - قدوة للجميع سواء أكان ذلك يرضيه أم لا!.....

حين ينتهى اليوم الدراسى ، يجتمع ماجد مع أصحابه كعادتهم ، يصحبهم بعض الكلام الجاد مرة ، والحاد مرة ، والضحك مرة ، والشجار مرة.....

وما آثار الدهشة فى ذلك اليوم ؛ أنه كان هادئا بغير شجار أو أى شيء آخر ، لأن إنشغالهم هذه المرة كان مختلفا تماما عن السابق ، هم اجتمعوا يتناجون فيما بينهم ويمسكون بتلك اللعنة التى أصابت كل الناس إن لم أكن ابالغ..... (لقد كان المدرس يشعلها فى الفصل ولكن لا ندرى ما بداخلها ، هيا افتحها يا مازن لعلنا نعرف الآن!..... لا أنا اخشى فتحها ، فليفعل ذلك أحد غيرى ، ليفعلها ماجد أو أحمد.....)).....

ظلت تلك الكلمات عالقة فى أذهان الأولاد ، فمنهم من تجاهل هذه الفكرة لرفض كان يأتيه من عقله كخبرة سابقة كانت لديه من تعاليم أبويه ، ومنهم من أخبر والده ولاقى جزاءه ، ومنهم من اختبئ خلف أى شيء لا يراه فيه أحد واتخذ القرار بإشعالها ثم وضعها فى فمه ويسعل ، ومنهم من صمت ولم يفعل شيئا.....وكان من ضمن هؤلاء الذين صمتوا صاحبنا ماجد.

تمر الأيام ويتحول أصدقاء ماجد رويدا رويدا إلى مدخنين كانوا يختبؤا خلف الأستار ليمارسوا تدخينهم ، إلى آخرين يفعلوا ذلك علنا أمام الجميع..... بل وكل واحد منهم يُجاهد لينشر وباءه بين أصدقائه ، لا سيما المقربون منه!.....

*****

(دعيني أخبركِ بأمر هام يا سارة ، أنتِ الأمر الهآم فى حياتى ، بل أنت كل حياتى فأنا لم أكن لأصبح هكذا بدونك.....

حين قابلتكِ لم أستطع صرف نظرى عنكِ لحظة ، فلكأنه سحر جذبنى جذبا من مؤخرة رأسى وأسقطنى عندك ، كنت أجاهد لكى تلتقى أعيننا ولو صدفة ، أتواجد فى المكان الذى تتواجدين

فيه قاصدا رؤيتكِ ، أما عن اليوم الذى نظرتى إليَّ فيه وأطلتى النظر ؛ فلم أستطع تمالك نفسى حينها بإخبارى لكِ أننى أراقبكى منذ زمن ، وأسعى لأن نصبح سويا.....

هذه الذكريات لم أنسها يوما يا مراد ، بل وكل يوم يقربنى منك أكثر عن الذى قبله ، ويزيدنى فيك حبا.....

سأخبرك بأمر أنا أيضا ، كنت انظر إليك ولكن حين لا ترانى ، كنت أطيل النظر فى الوقت الذى تنشغل فيه أنت عنّى ، كنت أسعى جاهدة لفعل الأمور التى تحبها أنت وتتحدث عنها ، وأحب تلك الكتب والروايات التى تُرشحها لنا فى كل اجتماع نلتقى فيه ، بل وما زلت محتفظة بها كلها..... وأجمل هدية أتتنى منذ يوم مولدى ؛ هى تلك الهدية التى رزقنى الله بها منك ؛ طفلنا ماجد ، فزادتنى فيك حبا فوق الحب حتى لم يعد فى قلبى مكانا لحب شيء آخر ، وما زلت أنظر إليك من الشرفة وأنت جالس تقرأ فى الحديقة ، ما زلت أتذكر تلك الثوانى التى كانت تمر حين تقع عينى على عينك وأنت تنظرنى ، أعيدها على ذاكرتى وأنا انظر إليك فأجدنى أتيهُ فى بحر لست أعلم شواطئه أين تنتهى ، فوق سفينة تبحر بأقصى سرعتها لتبلغ أى شاطئ ، ولا يكون ذلك إلا هباء ، فالبحر الذى أنا غارقة فيه ؛ أظنه لن ينتهى أبدا ، فهو البحر الذى أحبه ، وأحب الغرق فيه ، ولا بأس أبدا إن مت غرقا أيضا.....

(وضعت سارة رأسها على كتف مراد وهى جالسة بجواره تتحدث ، فقاطع حديثها قائلا: دُمتِ لى سندا وصاحبة ورفيقة وكل شيء فى حياتى ، دُمتِ لى أمّا بعد أمي.....

فقاطعته هى أيضا قائلة: أنا لا أجد تلك الحروف التى تسطيع وصف حبى لك ؛ فحروف هذا الوصف أظنها لم تُكتَشَف بعد ، دُمتَ لى أبا بعد أبى ، وصديقا ورفيقا وحبيبا وكل شيء.....

*****

يا لا غرابة الأمر!..... مرحبا بك يا ماجد ، ولكنّي أعتقد أن هذا اليوم ليس يوم العطلة أليس كذلك ؟..... بلى يا جدّى هو كذلك ، ولكنى خائف جدا ، وفى تلك اللحظات أنا دائما لا أستطيع الكلام ، فجئت إليك لأنك تفهمنى وتعرف أفكارى قبل أن أتحدث ؛ لعلك ترشدنى.....

اقترب يا ماجد فأنا أشعر أنى أحببتك وأعتبرك ابنى الذى لم أنجبه.....

ما اسمك يا جدّى ؟..... دعك من اسمى الآن ، يمكنك مناداتى بأى اسم أردت ، ولكن أريدك أن تعلم أمرا هاما ؛ أنا لا أعلم الغيب ولا أعرف أمورا لأشخاص آخرين ، وفقط أنا أستطيع قراءة أفكارالشخص الذى أمامى وليس غير ذلك ، وأنت الآن تفكر فى وحدتك وخوفك فقط ؛

لذلك لا أستطيع معرفة ما الذى جعلك حزينا هكذا ، أمّا الآن بعد سماعك هذا القول منّي ، فأنا أعرف سبب حزنك ؛ لأنك فور السماع لهذا القول فكّرتَ فى السبب ، وها أنا أقرأ.....

لتعلم يا ماجد أن التدخين أمر ضار جدا بالصحة ، وليس بصحة المدخن فقط بل بصحة من حوله أيضا ومن يجاوروه ومن يقترب منهم ، وكما هو ضار بالصحة هو ضار أيضا بالمال ويتسبب فى ضياعه.....

لِما ما زلت خائفا يا ماجد ؟..... لأن الناس تعلم هذا الأمر عن التدخين ورغم ذلك يفعلوه ويصروا عليه !!!.....

هذا يا ماجد لأن للتدخين شهوة لا يستطيع أن يقاومها صاحبها ، وفقط هم قليل من يستطيعوا فعل ذلك ، ولأنك تعلم هذا الآن ؛ فلا تسير كسير أصدقاءك ، بل وانصحهم ان يبتعدوا قبل عدم استطاعتهم!.....

حسنا أشكرك جدا يا جدّى ، ولكن لما لا تُرد إخبارى باسمك؟.....ستعلم السبب يا بُنيّ ، ولكن ليس الآن.....

أقرأ فى أفكارك أنك تريد أن تعرف ما الذى حدث بعد ذهابى لدكتور العقل الباطن وضحكه الكثير أليس كذلك؟..... نعم هو كذلك ، بل وأنا متشوق جدا لتلك القصة.....

حسنا.....

بعدما أنهى ضحكه الكثير شكرته على فعله هذا وخرجت وأنا أحمل عبئا ثقيلا فوق ظهرى وخزيا شديدا لم أعرفه من قبل ، نعم هذا يحدث حين تُعلّق كل شيء فى حياتك بشخص ؛ فأنا قد علّقت كل أفكارى هذه على جوابه الذى لم أظن لحظة أنه سيخذلنى هكذا!.....

وأتى الليل ليصبح رفيقا ثالثا معى وهمّي ، فرحّبتُ به وخرجنا ثلاثتنا نبحث عن مأوى نهدأ فيه أنا وأفكارى.....

انطلقنا بعيدا جدا إلى أن انقطع كل المارة من حولى - أقصد من حولنا -.....

سمعتُ - أقصد سمعنا - تلك الأصوات تأتى من خلفى - أقصد من خلفنا - .....(ارفع يديك لأعلى وأخرج كل ما لديك من مال.....)

كأنها أداة حادة تُوضع فى ظهرى ، ثم شعرت بشيء يقترب من فمى ويضغط كثيرا ، حتى لأنّي لم أعد أشعر.....

لا أدرى كم من الوقت مر عليّ وأنا هكذا ، ولا أدرى ما معنى حالتي هذه التى تدل عليها كلمة (هكذا)!! ، فكأنّي أصبحت هلاميّا ، أرى كل شيء حولي ، وأراني وأنا نائم على الأرض ولكني لا أستطيع تحريك نفسي ، ولا حتى إيقاظي.....

أشعر أنّي أطير وأتنقل بسرعة بين الأماكن ، أستطيع السير فوق الماء من غير أن أبتلّ ، وأستطيع اللحاق بتلك السيارة وأسبقها ، ثم شعرت بأنني أُجذب جذبا إلى جسدى ، وكأن حبلا قد امتد ويسحبنى بشدة ، وها أنا أتحرك حركات قليلة ، ثم استيقظت لأجد كلبا يعوي فوق رأسي ، وأصواتا كثيرة من حولي ، ولا يوجد أحد غير هذا الكلب الذى يعوي ، ولكن!..... من أين تأتي كل هذه الأصوات؟!!! ، أنا لا أفهم أيضا ماذا تقول!!!!!.....

بدأت أهرب من كل هذا جريا نحو بيتي ، ولكن كلما ذهبت لمكان ؛ سمعت فيه أصواتا غير تلك الأصوات التى سمعتها من قبل ، لم أكن أعرف ما هذا الذى يحدث لى!.....

وضعت يدى على رأسي ضاغطا بقوة عليها من الألم الذى أصابنى ، وفجأة بدأت أدوخ ، وشعرت بأنّي أغيب عن وعيي ، ثم رأيت رجلا قادما نحوي وهو يجري ، لا يتكلم ، ولم يقل شيئا أبدا ، ولكن أشعر أنني أعرف ما سيقوله ، أشعر أن هناك كتابات فوق رأسه وحروف وكلمات تتحرك بسرعة نحوي مجاورة لحركته ، ثم اقترب منّي وقال: (ماذا بك يا بنى....)

يا للهول! لقد كرر هذه الكلمات مرارا ، لقد سمعتها منه من قبل ، أو قرأتها لا أدرى!!!!.....

وكأن حبسة أنفاسي التى فعلها ذاك الرجل أثناء سيرى تسببت فى استيقاظ بعض الأجزاء من دماغي ؛ هى التى فعلت بي كل هذا ، وأنا أيضا أتذكر أنني كنت أطير بينما كنت غائبا عن وعيي ، ولكن من يصدق كل هذا!.....

بدأت أهرب مجددا وتركت هذا الرجل المعتوه الذى يكرر كلامه مرارا.....

لم أستطع التحمل أكثر ، وكلما تحركتُ فى مكان أسمع أصواتا أخرى ، وكذلك عندما أقابل أحدا ؛ أرى كلمات تخرج من رأسه تتجه نحوي.....وكأنني جننت!!!!.....وكأنني جننت!!!.....

فى تلك اللحظة أمسك هذا الرجل برأسه وبدأ يصرخ بجوار ماجد ، والمسكين (ماجد) لا يستطيع عمل شيء ، يريد أن يساعده ، ويريد أن يجري ؛ فهو لا يعرف كيف يساعده.....

الرجل يصرخ ، وماجد خائف جدا ، ثم لم يستغرق الأمر لحظات إلا وأخذت أقدام ماجد القرار بدلا منه عائدة به إلى المنزل.....

(ما الذى جعلك تتأخر هذه المرة يا ماجد ؟ ألم أنذرك ؟!.....)

فما كان من ماجد إلا أنه احتضن والده بشدة وهو يرتجف ، فأخذه والده وجرى به للداخل ، وضعه على السرير وزمَّله ببعض الأغطية رغم حرارة الجو وقتها ، أحضر له كوب ماء وتركه يهدأ قليلا ، ثم سأله ماذا حدث معك ؟.....

قال ماجد: لا شيء!! لا شيء!! ، فقط أريد النوم !!!!!.....

لتأتى بعدها والدته فزعة وتحتضنه بشدة وهى تسأله عمّا حدث معه ، وهو لا يجيب!.....

فقط يرتجف جسده كله ، ولا يستطيع الكلام.....

(عليك أن تحضر الطبيب الآن يا مراد..... بالطبع سأفعل ، سأعود حالا.....)

وحين أتى الطبيب ليفحص ماجد ؛ سأله عمّا إذا كان قد طارده أحد ، أو جرى خلفه كلبا أو ما شابه ذلك.....فأجاب بالنفي ولم يرد أن يتكلم أكثر من ذلك ، أعطاه الطبيب بعض المهدئات ؛ فضربات قلبه كانت تتسارع جدا ، ثم تركه حين تحسنت.....

وحين هدأ أخيرا ، كان ينظر إلي سقف الغرفة محملقا فيه ، ثم سأل والده هل التدخين عادة سيئة يا أبي ؟!!!.....

أجابه: بالطبع هو كذلك يا بني!.....

(3)

يا لها من فترة غياب طويلة يا ماجد ، وأخيرا إلتقينا.....

مرحبا بك يا أحمد ، لقد أشتقت لتجمعنا ولعبنا سويا وقت طفولتنا ، يا لها من أيام لن تنسى.....

أين تدرس الآن بعد مغادرتك لمدرستنا ومُضيّ السنوات على ذلك.....

أنا فى الصف الثالث الإعدادى ، ولكن المدرسة خاصة ليست تابعة للحكومة كما تعلم.....

حقا لقد اشتقنا إليك يا ماجد ، وأرجوا أن تكون بيننا لقاءات أخرى غير لقاءات الصدفة هذه.....

ليكن كذلك يا صديقي.....

*****

(ذات مرة حين عاد ماجد إلى ذلك الرجل الذى يقرأ الأفكار ليطمئن عليه بعد فترة إنقطاع قد طالت بينهما ، وكانت الأمور تسوء مع ذلك الرجل ، وكثرت الأوقات التى يتألم فيها وهو ممسكا برأسه قائلا:

أشعر بتلك الأصوات الشديدة فى رأسى يا ماجد ، وكأنهم يريدونني أن أفهم شيئا ، ولكني لا أعلم ذلك الشيء ، ولا أعلم أيضا من هم! ، ولكن أصواتهم تدل أنهم عددا ليس بالقليل.....

هل أستطيع عمل شيء لك يا جدّى ؟ أخبرنى إن كنت أستطيع !.....

لا ، لا تستطيع عمل شيء ، فقط اذهب.....

عاد ماجد إلى بيته وكانت على وجهه علامات القلق الشديد التى لاحظها والده ؛ فسأله عنها ودار بينهما الحوار الذى انتهى باصطحاب ذلك الرجل إلى الطبيب لكى يفحصه ويعالج سبب ألمه ، ثم العودة به إلى دار السيد مراد ليعمل فى المنزل كحارس وكشخص يرعى لهم الحديقة بعد التأكد من قدرته على السير ؛ لأن سبب منعه كان نفسيا وليس عضويا.....)

كبر الآن ماجد ، وأصبح ذلك الجد برفقته وأيضا لم يفصح عن هويته للسيد مراد هو الآخر ، وهذا ما جعل الأمر فى بدايته صعبا ليصطحبه فى منزله ، ولكن إصرار ماجد هو الذى أزال تلك الصعوبة.....

*****

حين يذهب ماجد إلى مدرسته ويلتقى بأصحابه ، كانت هناك نظرات لا تُفارقه طالما ظل موجودا أمامها.....

كانت منجذبة نحوه بطريقة استغربها الجميع ، فلطالما عرفوا عن سلوى أنها ذلك الشخص المنطوي الذى يتجنب أماكن الإزدحام ويخاف أن يتواجد فيها ، لطالما علموا عن عدم قدرتها فى التعبير عن مشاعرها.....

تظل صامتة أغلب أوقاتها ، تخشى أن تقع عينها على عين أحدهم ، وتخشى أن تُسِرّ أحدا بالكلام حتى وإن كانت فتاة مثلها ، لهذه الأسباب اعتقدوا أن هناك سرا فى ماجد جعلها تنجذب إليه ، ومن حين لآخر كان هو الآخر يبادلها بعض النظرات الخجولة.....

أخبره أصدقاءه أن الجميع يلاحظ تلك الفتاة الحسناء شقراء الشعر حسنة الوجه والأخلاق وهى تنظر إليه باستمرار ، وشجعوه على الحديث معها ، ولكن كيف لماجد الذى يخشى الحديث هو أيضا أن يأخذ هذه الخطوة! ، وبالأخص إذا كان الأمر يتعلق بفتاة ، وبالأخص أكثر إذا كان الأمر يتعلق بهذه السلوى شديدة الجمال!.....

وحين يعود إلى منزله كان يقصد الإسراع والإختباء عن جده الحارس ؛ كى لا يقرأ أفكاره هذه المرة ، فهذا الأمر جديدا عليه ولا يدرى أيُطلِع عليه أحدا أم يكتمه.....

*****

(تلك الحيرة فى عينيك أنا أعرفها ، ولكن ما لا أعرفه حقا هو سبب تعمّدك الإختباء منّي!.....

أنا.....أنا....أنا لا أعرف عما تتحدث!!...أى حيرة هذه ؟!!.....

انظرفى عينيي وسأخبرك أية حيرة.....ماجد! هل أنت تُحب ؟!.....

ماذا؟!!.... ماذا تقصد يا جدي ؟!.... أنا لا أعرف شيئا عن الحب!!.....

حقا أنت لا تعرف ؟!!.....

نعم صدقني لا أعرف!!!.....ولكن!!....حسنا سأخبرك!....

كل ما فى الأمر أنها جميلة ، وحين أنظر إليها لا أعرف ما الذى يحدث لى ويجذب عينيي أكثر ، لا أعرف من أنا حين أراها ، هذا كل ما فى الأمر!.....

هل هى تبادلك ذات الشعور ؟.....

لا أعرف ، ولكنها تنظر إليّ كثيرا ، دعك من قصتي الآن ولتكمل لى قصتك فأنت لم تحكي لى شيئا منذ زمن.....

حسنا ، أين توقفنا ؟ ، أتتذكر ؟.....

نعم ، توقفنا عند صراخك كلما حاولت الهرب لمكان ما ؛ نتيجة لتلك الأصوات التى تسمعها!..... حسنا!.....

(بعد مرور الوقت وأنا أجرى بكل سرعة أملكها ، وصلت أخيرا إلى المنزل ، ولكن تلك الأصوات لم تتوقف!.....

هرعت كالمجنون أتحرك يمينا ويسارا فى الغرفة والأصوات تتردد ، كان الجميع قد غادروا المنزل فى أجازة لزيارة أجدادي ؛ وهذا من سوء حظي ، فلم أكن أعرف ما عليّ فعله!.....

جلست على مقعد وأنا أشعر أن رأسى ستنفجر ، ثم بعدها لاحظت أن الأصوات بدأت تهدأ رويدا رويدا حتى اختفت تماما ولم أعد أسمع شيئا!.....

هذا الأمر أخافني أكثر ، فذلك الصمت المفاجئ يعنى حدوث أمر ما تسبب فيه ، ومن حسن أو سوء حظى ؛ لا أعلم سبب تلك الأصوات ، ولا حتى سبب صمتها المفاجئ!.....

شعرت برأسي كأنها مفتوحة تطل على الخارج ، ولا أستطيع إخبارك بعدد المرات التى وضعت فيها يدي على رأسى للتأكد من أنها غير مفتوحة ، ولا عدد المرات التى وقفت فيها أمام المرآة أتفحصني.....

وكأن شيئا حدث داخل رأسى ، أشعر بإتساع كبير فى أفكارى ، وأنني أستطيع الطيران ، وبقدرتى الخارقة على تحريك الأشياء عن بعد ، ولكن كلما حاولت تجربة هذه الأمور ؛ لم يزدني الأمر إلا ضحكا هستيريا على ما يحدث وعلى ما ظننته.....

فمرة أصعد فوق السرير واتشقلب محاولا الطيران ، ومرة أهبط على السلم بقفزات عالية عساني أطير فى واحدة منها ، وأخرى انظر لذلك الكوب الموجود على الترابيزة وأغمض عينيي وأفتحها مرات عدة بحركات غريبة أفعلها بعيني مرة ، وبفمي مرة ، ثم أجدنى فى النهاية أضحك على نفسي ، وبالأخص إذا كنت أمام المرآة ؛ فأنظر إليّ وأنا على هذه الهيئة التي صرت عليها!.....

ولكن الأمر الغريب حقا كان يحدث كلما قابلت أحد الأشخاص حتى أثناء سيري فى الطرقات ؛ أشعر كأن الكلمات تخرج من مؤخرة رأسه وتأتى نحوى ، فمن شخص يفكر فى الغداء ، لآخر يفكر فى حبيبته ، لآخر يفكر فى تأخر وسيلة نقله.....

بدأت الأمور تتضح لي الآن ، لابد أننى أستطيع قراءة الأفكار!!.....

قابلت بعض أصدقائى ووجدت نفسي أعرف ما سيقولونه قبل أن يقولوه ، بمجرد التفكير فيه فقط! ، وكما أسرني هذا الأمر فهو أيضا أحزنني كثيرا ؛ بمعرفة تلك الأفكار الخبيثة ببعض الأشخاص التي كنت أظنهم أصدقائى ، وأيضا استطاعتي معرفة الشخص إن كان يصدقني الحديث أو هو يكذب.....

بدأت الأمور تزداد إيضاحا أكثر.....

حين هدأ كل شيء حولي وبدأت أفكر فى أبحاثي التى كنت أجريها على العقل الباطن ، وذلك الدكتور الذى خذلني كلما حاولت التقدم عن طريقه ؛ تذكرت ما يمكن للعقل الباطن فعله في الشخص نفسه ، فلربما كل هذا كان مجرد ترهات وخيالات قد جسدها عقلي الباطن ، وربما هي قوة العقل الباطن التى كنت أبحث لأكتشفها ؛ فهي أكبر مما ظننت ، بل أكبر مما ظن أى أحد .....!

ولكن لكل شيء ثمن يا ماجد ، وثمن هذا الأمر الذى أصابني ؛ هو الألم الشديد فى الرأس من وقت لآخر ، كالذى حدث معي آخر مرة جئتني فيها ، ثم عندما أقرأ أفكار أحد بعناية وأركز اكثر ؛ أشعر بأن أنفي تنزف ، وما هى إلا لحظات ويبدأ الدم يسيل منها بغزارة.....

إلى هنا يا ماجد تكن قصة قراءة الأفكار خاصتي قد انتهت ولا أعلم ربما جدّت بعض الأمور فيها ، ولكن أرجوا أن لا يأتى جديد ؛ فلقد هرمت كما ترى وما عدت أحتمل أى هم آخر ، أنا بالكاد أعيش!.....

كل وقت يمر بيننا ؛ يقربني منك أكثر يا جدي ، وكأن شيئا ما مرتبط بيننا لا أدرى ما هو ، ولكن ثمة أمر ما أشعر به كلما وقفت أمامك أو نظرت إلى عينيك.....

والآن أخبرنى يا جدي ، ما الذى جعلك مرتبكا هكذا حين تحدثت إليك بأن ثمة أمر مرتبط بيننا ؟!!.....

لا شيء يا ماجد ، لا شيء! ،..... بلى يا جدي هناك شيء أنت تخشى أن تخبرني به ، وحتى اسمك إلى الآن لا أعرفه ولم تخبر أحدا به ، هلا فسرت لى ذلك الأمر؟.....

بالطبع سأفعل ، وستفهم كل شيء يا ماجد ، ولكن ليس الآن.....

(4)

(ماجد !..... أهلا وسهلا آنسة سلوى ، إزيك؟.....الحمد لله ، إنت عامل ايه ؟..... الحمد لله بخير ، أى خدمة؟.....ها!.....)

لم يكونا يعرفا ما الذى يحدث بينهما كلما تقابلا ، شيء ما غريب! ، ولكنه جميل..... فقط هما يتمنيا أن لا تغب عينا كل واحد منهما عن الآخر وإن لم يكن هناك سبب معروف ، وإن لم يكن هناك كلام ، وإن كان مجرد أن ينظر إليها وتنظر إليه ويظلّا هكذا وقتا طويلا لا يدريان أمده.....

يتحول الفصل الدراسى إلى عزاء بالنسبة لسلوى إذا تغيّب ماجد ، وكذلك لماجد إذا تغيّبت سلوى.....

ذلك الشعور الجميل الذى يُعلِمك أن لحياتك معنى حقيقي الآن ، يعلمك أنك أصبحت طائرا ذو أجنحة كبيرة جدا تحلق بها فى كل مكان تريده وأنت ما زلت على الأرض تنظر إلى عينـــــ.....سلوى!.....

آنسة سلوى! لا أقصد قطع وقتنا الجميل هذا ولكننا قد تأخرنا على موعد بدأ الحصة ، هلا ذهبنا؟!..... نعم! ، نعم بالطبع ، لنذهب..... وأود الإعتذار منكَ عن هذا التأخير الذى تسببتُ فيه.....لا بل تسببنا فيه يا سلوى!.....

هيا يا ماجد سنتأخر الآن أكثر!.....حسنا لنذهب!.....

*****

حين عاد ماجد من المدرسة كان غريبا جدا اختفاء الجد من المنزل ، فبحث ماجد عنه هنا وهناك ولم يجده (تُرى أين ذهب هذا الرجل الغريب ؟!.....

وما هى إلا لحظات حين إلتفت ماجد خلفه ليجد الجد أمامه مباشرة!..... رجفة قليلة صاحبها ارتفاع طفيف فى نبضات قلب ماجد ، مع صرخة خرجت من فمه بالكاد أسمعته صوته.....

لقد كنت أبحث عنك يا جدي ، أين كنت ؟..... لا تُشغل بالك يا ماجد فأنا لن أذهب بعيدا.....

أتدرى يا جدى!.....

لقد أصبحت غريبا هذه الأوقات ، ولكن كما قلت أنت ؛ لن أُشغل بالى.....

والآن أنا سعيد جدا ولا أدرى لماذا! ، وفى ذات الوقت أشعر بحيرة غريبة وأيضا لا أدرى لماذا! ، وكأنى أسبح فى الهواء يا جدي ؛ فلا الإنسان يسبح فى الهواء أبدا! ، ولا الهواء قابل للسباحة فيه !!.....

ابتسامة خفيفة ارتسمت على وجه الجد صاحبتها حركة من يده لجنب ماجد جعلت هذا الأخير يقفز عاليا بضحكة أخذت نفس صفة قفزته!.....

*****

(ماجد!.....ماجد!..... نعم يا أبى!.....والدتك ستلد عمّا قريب ، سنذهب إلى المستشفى الآن ولتبقَ فى البيت مع جدك..... حسنا يا أبى سأفعل.....

معاذ!..... والدك يريد تسمية الطفل معاذ ، هل يعجبك الإسم ؟..... بالطبع هو كذلك ، ولكن هل قرأت أفكار والدى ؟!..... نعم فعلت ذلك حين رأيته سعيدا جدا ، والآن هل تريد أن نتحدث قليلا بشأن سلوى ؟!.....ماذا ؟!!!..... ماذا تعرف عنـــ!!!..... وكيف عرفت هذا الاســـ!!!!.....لابد أنك نسيت يا ماجد ما يمكننى فعله ، وأنت أيضا أفكارك كلها ممتلئة بذلك الإسم ، ولكن دعنى أستمع إليك هذه المرة.....

حسنا يا جدي.....

تلك الفتاة لا أعلم ما الذى يحدث حين أراها! ، وكأنها ساحرة ، وكأن شيئا ما يجذبنى أو يجذبنا نحو بعضنا لا أدرى ، فبالأمس قد إلتقت أعيننا وطال اللقاء! ، ولا ندرى ما السبب.....

هى لا تدرى ، وأنا أيضا لا أدرى.....

نحن لا نريد شيئا من بعضنا ، فقط نريد أن نظل ناظرين كل منا لعينى الآخر وإن لم يحادثه ، لا نعلم يا جدى ما هذا الأمر ، ولا نستطيع مقاومته ، وكلما غاب أحدنا عن نظر الآخر حزن ، تدرى يا جدى ولأول مرة سأقولها!.....لقد بدأت تخاف ؟..... نعم أنا كذلك ، وقد بدأت أهتم لأمرها جدا ، وأتواجد فى المكان الذى تُفضّل الذهاب إليه ، وهي أيضا تفعل ذلك من أجلى.....

ماذا أفعل فى هذا الأمر يا جدي؟! ، انصحنى ، فلطالما كنت ناصحي دائما.....

أجل يا بنى ، ولكن ليس هذه المرة!.....

أنت تحب يا ماجد!..... والذى يستطيع مساعدتك فى هذا الأمر هو والدك ؛ فأغلب أفكاره لا تخلو من بعض هذا الحب إن لم تكن كلها ، أفكار والدك كانت مليئة بأسئلة وعبارات جميلة..... (كيف أسعد سارة ؟.....اليوم سأحضر هدية لسارة..... أنا أحب سارة.....ليت كل الناس سارة.....)

لذا فوالدك هو المناسب فى الحديث معك عن هذا الأمر ولست أنا!.....

(ماجد!..... لقد وصل أخوك إلى المنزل ، رحِّب به.....)

كانت السعادة تملئ أعين الجميع فى هذا الوقت ، والهدايا تملئ كل الأماكن فى المنزل ، والكثير من الألعاب والأنوار.....

إنها تلك الفرحة التى يحلم بها كل حالم ، وإن كان هذا المولود ليس الأول بالنسبة لمراد ، ورغم ذلك كانت الفرحة عارمة وتملئ قلبه ، بل وكادت تفتك به.....

*****

حين مضت أعوام ماجد بغير توقف وكبر أخوه معاذ وأخذ يكون له كما كان الأب لماجد ، فلقد هرم مراد الآن بعض الشيء ، وكبر ماجد أيضا والتحق بالجامعة ويبقى أقل من أسابيع ليتخرج ماجد وزوجته سلوى من كلية التجارة ، تلك الأحداث كلها لم يتوقع ماجد أن تحدث له وبهذه السرعة ، فكل شيء مضى وكأنه أغمض عينه ليفتحها فيجد نفسه على ما هو عليه ، وكذلك ماضى الجميع.....

ما زال الجد لم يفصح لأحد عن اسمه ؛ وهذا أيضا أثار دهشة سلوى هى الأخرى ، فكأنها أُحيطت بأشخاص يشبهونها ؛ فلطالما كان مراد وسارة أعمق زوجين يمكن أن يرهما إنسان ، ودائما ما يتحدثان بحكمة ، ويسكتان أيضا بحكمة.....

وكذلك كان ابنهما ماجد ، لعله ورث هذه الصفة منهما ، ولربما يصبح كذلك معاذ ؛ فهو الآن فى الثامنة من عمره وتظهر عليه علامات الصمت الهادئ المثير للدهشة ، فهو يعيش وسط أسرة تتحلى فى معظم أوقاتها بالهدوء التام عدا أوقاتهم التى يخصصونها للبهجة والمرح والسرور.....

*****

تدرى يا ماجد أنتم أفضل أسرة رأيتها فى حياتى وتمنيت أن أبقى فردا فى بيتٍ كهذا ، ودعنى أخبرك بسر.....

هذا الأمر الذى تعلمه عنّى ؛ أنّى أقرأ الأفكار ، لطالما أبعدنى عن أناس ظننت فيهم الكثير من الخير والأمان ، لطالما أبعدنى عن الفتاة التى أحببتها فى حياتى ، وعن أصدقائى وحتى عن أهلى.....

أنا أتمنى لو أنّى لم أبحث فى علوم النفس أبدا ؛ ربما وقتها كنت لم أسأل هذا الدكتور ولم أتعرض لذلك الموقف الذى تسبب لى فى هذا الأمر ، تمنيت كثيرا أن أكون أحدا آخرا غيرى!.....

لقد كرهت أن أقرأ الأفكار ، كرهت أن أطّلع على أمور لم يرد الآخر إخبارى بها ، وودت لو أنى مثلك ومثل باقى البشر ؛ إنسان عادي لديه أحلام ؛ بعضها يتحقق وبعضها لا ، ولديه أوقات سعيدة وأخرى حزينة ، تمنيت أن لا أمتلك تلك الحاسة السادسة أبدا ؛ فبالرغم من فائدتها الكبيرة إلى أن ضررها كان أكبر بكثير ، أكبر لحد جعلى تعيسا طوال حياتى ، وجعلى أعتقد بأن الناس كلهم أشرار ، كلهم خبيثون!.....

هلا هدأت قليلا يا جدّى!.....

لم يحدث شيء لكل هذا البكاء! ، فالواحد منّا لا يستطيع التنبؤ بمستقبله ، ولا التحكم بالأحداث والأمور التى تحدث له ، بل العبرة كلها فى معرفة الواحد منّا كيفية التعامل فيما يحدث له.....

أنت الآن بيننا يا جدي ، وأنت أخبرت أنك سعيد بوجودك بيننا ، وكذلك نحن ، والآن أنا جئت لأودعك وأستوصيك على أخى معاذ وأسرتى.....

ساعدهم كما ساعدتنى ، أنا الآن مقبل على الجيش ؛ هو عام وسنعود كالسابق ولكنى سأفتقد كثيرا تلك الأيام التى مرّت بيننا منذ أول لقاء رأيتك فيه.....

أنا الآن يمكننى قراءة أفكارك يا جدي وإن كنت لا أستطيع ، فأنت الآن تشعر بالحزن على همومك كما أخبرتني ، وتشعر بالحزن على فراقي أيضا ، ولكنّى أشعر بالسعادة لأنى قابلت رجلا مثلك فى حياتى ، وإن كنت لا أعرف اسمك إلى الآن ؛ فلربما عرفته فيما بعد ، وربما لن أعرفه أبدا ؛ فهذا لا يهم ، والمهم حقا أنك معنا وبالقرب منّا.....

الحكاية الثانية

(الحروب)

(The Wars)

وها أنا ذا سأقف أخيرا مدافعا عن كرامتى وكرامة إخوتى ، وكرامة كل من مات قبلى دفاعا عنى وعن غيرى.....

إنه اليوم الذى سأقف فيه بكل قوتى ، يمكننى الآن أن أغضب كما أشاء ، وأصب غضبى على شيء لن أندم عليه أبدا.....

عندما إلتحق ماجد بالجيش ، كان كل ما يتمناه ؛ أن يلتقِ بهؤلاء الأعداء الذى لطالما تحدث عنهم كل من قابلهم ماجد ؛ بأنهم أقوياء لن يقهروا ، وأعزاء لن يذلوا ، يريد أن يثبت للناس ولكل المتحديثن أنه لا قوى غير الله ، ولا عزيز أيضا غيره.....

وفى اليوم الأول الذى خضع فيه ماجد للتدريب ؛ فطن أنه لا سبيل لتحقيق مبتغاه من هذا المكان الذى فيه ؛ فهو مجرد جندى لا يستطيع عمل شيء غير تنفيذ الأوامر!.....

فكان ماجد يسعى جاهدا لأن يلفت الأنظار ، وبالأخص إذا كان فى موكب يحضره القادة معهم ، فدعك من ذلك القائد الذى أمر بعقاب ماجد بالحبس ، ودعك من الآخر الذى عنّفه ، ولنذكر ذلك القائد الذى ظل ينظر لماجد كأنه يريد إخباره "أنك تستطيع".....

ظل يحملق فى ماجد ، والأخير لم ينزل عينه من عليه ؛ حتى لا يظن أنه ضعف ، إلى أن أمر القائد بإحضار هذا الجندى إلى مكتبه.....

(لقد كنت تثير الشغب فى التدريب ، وسمعت عنك الكثير من عدم إطاعتك للأوامر رغم العقاب الذى تناله بسبب تمردك.....

سيدى القائد ، أنا لست متمردا ، ولطالما أحببت تنفيذ الأوامر والقوانين ، ولكنه ليس الوقت المناسب لإظهار تلك الطاعة ، إنه وقت الحروب يا سيدى ، وأنا متحمس جدا لأن أحارب وأقود ، مهما كانت قوة جيوش العدو الغاشمة ، مهما كانت تمتلك إسرائيل من عتاد وأسلحة ، ومهما يكن من يساندهم ؛ فأنا كفيل بكل هذا ، وإن كنت وحدى!.....

لنضع حماسك هذا على جانب الآن أيها الجندى - ويمكنك الإستعانة به متى شئت - ولكن أخبرنى ؛ كيف ستهزم جيشا بمفردك ؟! ، هذا الحماس كفيل بأن يقتلك قبل دخولك الحرب أصلا!.....

لا يا سيدى ، هذا الحماس ليس كفيلا بشيء سوا بدعمى ؛ فأنا أعرف ما أقول ، وأعتقد أنك ستدعمنى حين تعرف مقصدى!.....

حسنا ، أخبرنى بمقصدك أيها الجندى.....

(1)

كانت الأجازة الأولى التى يحصل عليها ماجد من الجيش حين عاد إلى بيته مفتقدا كل من فيه ، فأخذ يُقبّل أيادى والديه ، ويحتضن معاذ ، ثم ها هو يقف مطيلا النظر إلى ذلك الرجل الطاعن فى السن ذي لقب (الجد).....

شعر ماجد بأن ثمة أمر غريب يحدث له فى أماكن كثيرة يذهب إليها ، فلطالما وجد ذلك الغموض فى كثير من الناس منذ مقابلته لذلك الجد ،

(ما الذى تشعر أنه غريب يا ماجد؟!.....

كل شيء يا جدى منذ أن تقابلنا ، فهلّا أخبرتنى بهذا الأمر؟! ، فأنا أعلم أنه بطريقة ما لك صلة بكل ما يحدث!.....

صمت الجد طويلا ، ثم ابتعد عن ماجد حين رأى زوجة الأخير قادمة نحوه وتحتضنه.....

أخذت زوجها وهما مسروران ، وفى هذه اللحظة قد ذرفت دمعة من عين الجد لا يُعلم لها سببا!.....(لربما كان له ماضٍ مؤلم ، او شيء من هذا القبيل.....

*****

(والآن يا جدى لم يتبقى الكثير على إنتهاء أجازتى وسأعود للجيش ، فهلا أخبرتنى؟.....

أخبرك بماذا يا بنى ؟!.....

لا أدرى!! ، ولكنك تعرف ما تريد إخبارى به ، فكلما تقابلنا أشعر حينها أنه عليك إخبارى بأمر ما!.....

لا تشغل بالك يا بنى وركّز على مقصدك الذى أخبرت به قائدك فى الجيش ، فأنا أيضا متفق مع إتفاقك ؛ أن مقصدك هو النجاة لكل شيء ولكل الشعوب.....

لن أندهش الآن من معرفتك بهذا الأمر ، فلأنك لابد قرأت ما يدور فى رأسى الآن ، ولكن ما يدهشنى فعلا ؛ هو ذلك القائد الذى كلما رأيته أشعر كأنّى أقف أمامك! ، لا أدرى كيف يحدث ذلك ، وما زاد دهشتى اكثر ؛ أنه لم يرد إخبارى باسمه ، ونوَّه على الجميع بأن لا يخبروننى باسمه إن سألت واحدا منهم!!.....

حقا تلك الأمور غريبة يا جدى ، ولكن لا يهم ، الآن فقط كل ما يشغلنى حقا ؛ هو الأمر الذى اخبرته للقائد بشأن تكوين جيش يسمى بجيش الشرق ؛ وهو أن تشارك كل دولة عربية شرقية بعدد من جنودها للإنضمام فى هذا الجيش ليصبح الجيش لا يُقهر عددا ولا عدة ، ولقد أعجب

القائد بتلك الفكرة وأخبرنى أنه سيقدمها فى المؤتمرات كإقتراح لإنهاء الحروب لصالحنا نحن العرب.....

دُمت حاملا لتلك المشاعر القوية والجميلة يا ماجد ، دُمت مخلصا لبلادك ومدافعا عن أرضك وعرضك ، أنا اجد فيك أنك تقود البلاد ، ولعل فراستى هذه لا تكذب.....

حسنا يا جدى! سأعود الآن إلى الجيش ، ولكنى لن أتنازل عن إخبارك لى بالأمر الذى يزيدنى حيرة كلما قابلتك!.....

لك ذلك يا بنى ، أعدك بأنّى سأخبرك بكل شيء ، حين يحين وقته!.....

*****

ودع ماجد أسرته وداعا حارا ، وذهب خارجا من بيته ليعود إلى الجيش.....

فور عودته ، وجد استقبالا مهيبا من قادة لم يستطع إحصاء أعدادهم ، ولكنه استطاع أن يتبين أنهم ليسوا من دولة واحد ؛ فلهجة كل واحد منهم تختلف عن لهجة غيره.....

(ماجد! لقد اقترحت فكرتك فى مؤتمرات كثيرة ولم أجد من ردود الأفعال سوا الترحيب والقبول بهذه الفكرة ، بل واقتراح من بعض القادة لإضافة بعض التعديلات على اقتراحك ، وها هم كل القادة الذين رحبوا بالأمر.....

اسمع أيها الأخ ماجد ، إن إقتراحك هذا قد راق لى وللكثير من قادة الدول ، فلعل لإقتراحك هذا دليلا نسير عليه لنصل لمرادنا ومراد البلاد.....

أهلا بأخينا العزيز ، وأهلا باقتراحك..... (الحق يقال ، فإن كل جملة كانت مختلفة عما قُرأت ، وأيضا مختلفة عما كُتبتْ ، ولقد كتبتها بالفصحى حتى يفهمها قارئي المصرى ، فكانت لهجة اليمن ، والعراق ، وسوريا ، ولهجات العرب أجمعين متحدة على لسان تختلف مخرجات حروفه.....

شعر ماجد أنه ممسكا بالسحاب وقتها ، بل بالنجوم ، بل بأنه واقفا أمام القمر وجها لوجه ويتحدث معه ، شعر كأنه يريد ان يبكى!..... فلطالما كانت الإستجابة للإتحاد موجودة طوال الأوقات ، ولكن الدعوة له لم تكن موجودة أبدا!.....

تبدأ مرحلة وضع الخطط لهذا الجيش ، وتحديد عدد الجنود المشاركة من كل دولة عربية ؛ ليصل جيش الشرق إلى مليون مقاتل مدرّبين على مستواً عالٍ جدا ، ويمتلكوا أسلحة ذات جودة عالية ، وبالتصنيع المحلّي الذى ساهمت كل دولة بأسهم كثيرة لتوفيره.....

لن يهيب هذا الجيش أى دولة تقف أمامه أبدا ، لن يهيبه أن تمتلك سلاحا نوويا ولا غيره ، جنود مضحون بأرواحهم فى سبيل الدفاع عن كل أوطان العرب ودول الشرق.....

لتقف إسرائيل أمام هذا الجيش إن استطاعت! ، ولتقف أمريكا أمام هذا الجيش إن استطاعت! ، ولتقف أى دولة غيرهما إن كانت لديها الجرأة على ذلك ، جيش تقوده دولا عربية ، فأصبح حكم الله هو حكمهم ، ودين الله هو كل أمرهم وهمهم ، فأنّى تكون الهزيمة لهم!!.....

لقد اتفق جميع قادة الدول المشاركة بتحرير الجولان ، وفلسطين ، ثم اليمن ، وكل الدول من كل غاشم قد دخل أرض الدولة بدون إذن من أهلها ، أو حتى أراد استثمارا فيها.....

سَمِعَت إسرائيل بإعلان تكوين هذا الجيش العظيم ، وسمعت كل الدول المعادية للعرب ، فجسّدوا حيلهم فى كل ما استطاعوا التجسيد فيه ، وجمعوا كل حيلهم ومكرهم معا ، واتحدوا حتى صاروا معا ضد تكوين هذا الجيش.....

البدء كان من فلسطين ؛ التى تقتل نسائها ، وتشرد أطفالها ، والرجال يقاومون وهم على علم أنها نهايتهم ، وبينما يحدث كل ذلك إذ يأتى جمعٌ غفيرٌ بطائرات لا حصر لها ، وبرجال لا حصر لأعدادهم ؛ فيدمّروا عاصمة المحتل الغاشم ، ويسحقوا رئيسهم ويذلوه ، وليفر منهم من استطاع الفرار ، أمّا الذين أُسِرُو منهم ؛ فأعداد وعتاد بلا نهاية ، تم جمعهم فى صعيد واحد ، تحت أمر واحد من كل قادة جيوش العرب ؛ إمّا أن تعيشوا بسلام معنا - وهذا يكون بإسلامكم - ، وإمّا أن ترحلوا ولا تعودوا أبدا.....

هنا علت الوجوه ابتسامات لا حصر لها ، علت الوجوه عزة لا إنكسار بعدها ، على الوجوه كل شيء جميل ؛ لن تغتصب فتاة أو إمرأة بعد اليوم ، لن تكون هناك سرقة بعد اليوم ، لن يكون أى أذى بعد اليوم أبدا للعرب ، ولجميع من أرادوا السلام من غير العرب.....

وفور هزيمة العدو الذى كان فى فلسطين ؛ يشرد الأطفال ، ويذبح النساء والشيوخ (وهذه كلها أفعال تصدر من جبناء لم يستطيعوا هزيمة الرجال ، فلجئوا للنساء والأطفال) إلا وحدث المُتَوقّع ، فلقد علم كل محتل أنه لن يستطيع الصمود أمام جيش الشرق أبدا ولو لمجرد ثوانٍ قليلة ؛ فأعلن إنسحابه من الأرض التى كان يحتلها بدون أية مقدمات.....

من امتلكوا شتى أنواع الأسحلة ؛ لم يريدوا شيئا ، ولم يرسلوا تهديدا لهذا الجيش العظيم ، بل طلبوا السلام وعدم الإشتباك معهم.....

لقد تمت إعادة كل أرض محتلة إلى أهلها مجددا ، تمت إعادة السلام لكل الدول العربية ، تم تنفيذ اقتراح ماجد مع خطط القادة أصحاب الولاء لدولهم.....

وهنا تم إصدار بعض القرارات الهامة والتى كان من ضمنها ، أن يظل ماجد ملتحقا بالجيش إلى الأبد ، وليست فترة خدمة يؤدّها ويرحل.....

كانت كل القرارات صارمة وعلى مستواً عال جدا من العدل والمساواة ، كانت كل القرارات دائما تُعلي من شأن الإنسان وتُكرمه ، ولا تهينه أبدا.....

*****

وذات يوم اختلى ماجد بنفسه ، وأخذ يرتب أفكاره ، فهو الآن أصبح فردا هاما جدا فى الجيش ، بل وإن قلت قائدا للجيش فلن أبالغ فى قولى ، ولكن الآن تسوؤه بعض الخاطرات التى ربما تحدث مستقبلا ؛ فلا يجد من نفسه غير إنهمار الدموع من عينيه ، والخوف الشديد الذى ينتابه لحد الرعب!.....

وها هو يطلب مِن مَن يرأسه بعض الأيام ليعد فيها لأسرته ؛ فلقد افتقدهم كثيرا من وقت لقائهم الأخير ، فقد طال الأمد وهو يشتاق كثيرا.....

(2)

حين عاد إلى منزله ، وبعدما علمت أسرته بما فعله من تكوين جيش الشرق والقتال لأجل حرية الشعوب الشرقية ، لم يكن من الأب والأم حين إلتقيا به سوا الإرتماء بين ذراعيه والبكاء طويلا ؛ لشدة فرحهما به ، ومعاذ هو الآخر كانت كل معانى العزة والفخر تملئ عينيه وهو يحتضن أخاه ويقبله قبلات لا حصر لها.....

أما عن الجد فكان صامتا كعادته فى كل شيء ، اكتفى فقط بالسلام عليه وتركه لأسرته يواصلوا الترحيب به.....

كانت ظامئة لكل خطوة تقربه منها ، وظامئة لكل قُبلة يضعها على جبينها ، وكل حضن تشعر معه بالأمان التام ؛ فوقفت تنظر إليه من بعيد والدموع تسيل على وجنتيها ، وبدأت أصوات إعلان البكاء تخرج من فيها ، تجرى نحوه ، وهو أيضا يجرى نحوها ، حتى إلتقيا بحضن لم يرد أى منهما نهايته..... تحتضنه بقوة ، وهو أيضا يحتضنها بقوة ويبكى.....
(كاد قلبى أن ينخلع منى ، ثم عاد واتّئد حين رءآك ، كدتُ أموت أو أجن لمّا علمت أنك تحارب ، وما لبث كل ذلك إلا أن زال عنّي ؛ حين لملمت شتاتي بحضنك الدافئ ، لا تغب عنّي أبدا!.....

لقد افتقدتك كثيرا يا سلوى ، واشتقت كثيرا النظر لتلك العينين الساحرتين!.....

ضحك الجميع ثم عادت الفرحة إليهم حين عاد ماجد.....

*****

(ما زلتَ غريبا جدا ، ولست أدرى ما يُصيبني حين أراك ، وكأننى أنت ، وكأنك أنا ، وكأننا واحد!.....

أهلا بعودتك سالما يا بنى ، حقا لقد اشتقنا إليك جميعا.....

ما الذى تخفيه عنّي؟ ، هذه المرة لن أرحل قبل أن أستمع إلى ما تريد إخبارى به!.....

إن كنت لابد فاعلا يا بني ؛ فها أنا ذا ، وسأحكى لك سبب تعاستي وصمتى المستمر.....

كُلّي آذان صاغية يا جدي.....

(ذات يوم ، وقعت فى حب فتاة لم أر مثلها من قبل ؛ لذلك لم أتردد لحظة فى إخبار والدى عنها والتقدم لخطبتها ، ثم الزواج منها.....

وحين أصبحت زوجتي ؛ أصبحتُ أرى كل شيء عن طريقها ؛ ما دامت هى سعيدة فأنا سعيد جدا مهما يحدث معى من مواقف تعيسة ، أمّا إن كانت حزينة ، فهيهات هيهات للإبتسامة أن تُرسم على وجهي!.....

كنت أحبها حباً لم أعتقد أن أى إنسان قد وصل إليه من قبل ، وحين كنت أقرأ أفكارها ؛ لم أكن أجد سوا الطيور البيضاء التى تتغنى طوال الأوقات باسمى ، يمكننى القول : أنني وجدت نفسى حين وجدتها!.....

كل حياتى بُنيت على وجودها ، ومعنى أن تغيب عنّي ؛ أن أموت أنا أو أجن ، لم أعرف ما الذى أصابنى حين وجدتها ، وكأنها كانت تائهة تبحث عني ، أو قل أنا الذى كنت تائها ووجدتُنِي!.....

كأى زوجين متحابين تحدث بينهما الخلافات ؛ فحدثت بعض الخلافات بيننا ؛ لأن الحياة لن تدم بلونها الوردى أبدا.....

وليست خلافاتنا كغيرها كما تحدث لباقى الناس ، زوجتي يمكنها أن تفض الخلاف بيننا بنظرة ترمقنى بها ، أو بإبتسامة أرسلها أنا إلى قلبها.....

كانت حياتينا ، - أو قل حياتنا - مثالية لدرجة الصفاء ، وذات يوم زحف البَينُ إلينا!.....

أصيبتْ بداء ؛ قال الأطباء أنه لا علاج له سوا بتر كل جزء ينتشر فيه ، كانت بداية البتر فى يدها ، ثم قدمها ، وبعدها لم تعد تشكو من هذا الداء لفترة طويلة غير أنها كانت فى غاية الحزن على ما حدث لها.....

جاهدت الظروف ، الأوقات ، الأيام والأحزان ؛ محاولا إعادة السعادة بيننا ، أو حتى جَعْلها تبتسم من جديد ، وبالفعل بدأت ابتسامتها تعود إليها رويدا رويدا ، والرضا يملئ قلبها بعض الشيء ، ثم ما لبثت أن بدأت تتألم وهى تشير إلى مكان القلب.....

وحين عدنا من زيارة الطبيب بعد فحصها ؛ لم أعد أرى شيئا ، وكأن الظلام ملئ الدنيا كلها ، وكأننى أموت ، وكأن قلبى يُسلَبُ مني ، فلِكَي تعيش حبيبتى ؛ إما أن تعيش بدون قلب ؛ وهذا مستحيل ، وإما أن تعيش لأيام معدودة ، وتفارق الحياة بعدها إلى الأبد!.....

بعد مرور الأيام ، وغياب زوجتى عنّي إلى الأبد ؛ ما عدتُ أرى شيئا ، ما عدت أسمع شيئا ، أصبحت بلا عقل وربما بلا قلب أيضا ، الإهتمام جهلت سبيله ، وكذلك الإثارة جهلت سبيلى ، لا أشعر..... ، لا.....، ولا.....، ولا.....، ولا لكل شيء.....!

وكأنني فى غياهب الحياة ميت ، أو أعيش جسدا بلا روح!.....

(لا تبكى يا جدى!..... كلنا سنرحل ، تلك هى الحقيقة ، ما حدث لك هذا يسميه علماء النفس بمتلازمة القلب المكسور (Broken heart syndrome) ؛ أنت رسّخت بناء حياتك كلها شريطة وجود زوجتك ، وحين رحلت عنك ؛ لم يكن لحياتك سوا أن ترحل معها.....

ولأن الجميع حتما مهما طال عمره سيرحل ؛ فيجب عليه أن لا يتعلق بأحد هذا التعلق الشنيع ، ذلك التعلق يجب أن يكون مُوَجَّها لأحد لن يرحل أبدا ، والذى له الخلود هو الله وحده.....

" فكل مُتَعَلَّقٍ مع الله سيرحل ، وكل مُتَعَلِّقٍ بغير الله سيُكسر"

تلك الحكمة أخبرني بها والدى فى إحدى دروسه الأسبوعية ، لعلها تخفف عنك قليلا ، والآن أنا لا أجد منّي سوا أن أقدم إعتذارى لك ، وليته يجدى نفعا!.....

(كفكف الجد دموعه ، وأخذ يلملم شتاته ثم قال : وما ذنبك أنت فى الذى حدث لي ؟ ، هل تعتقد أنك من ذكّرني ؟! ، أنا أتسائل ، كيف لإنسان أن يذكر إنسانا بأمر لم ولن ينسه قط أبدا!!.....

*****

(دا منزل السيد ماجد مراد المصرى ؟.....ايوة أنا ماجد مراد ، خير فى حاجة حضرتك ؟..... الجواب دا مبعوت لحضرتك من جهة عليا فى الدولة ، مع التأكد إنك شخصيا اللى تستلمه بنفسك ، اتفضل يا فندم.....تمام شكرا)

حسنا يا جدى!..... أنا لا أدرى ما الذى أقوله لك الآن ، فيبدو أننى تسببت فى حزنك!!!..... لا يا بنى!!.... أنت لم تتسبب فى شيء ، وأنا لست حزينا ، اهتم بأمر جوابك الآن ودعك منّي ، فهو مجرد وقت وسيمر كعادته!.....

ماذا يوجد في الجواب يا بني ؟ لقد تغير وجهك فور قرائتك له! هل حدث أمر ما ؟!..... لا لم يحدث شيء!.....كيف وأنا أراك تبكى ؟!.....

لقد!!..

لقد!!..

لقد كُلِّفتُ بقيادة جيش الشرق يا جدي ، ومطلوب منّي قطع أجازتي والحضور فى الغد فورا!!.....

وهل هذا الأمر يجعلك حزينا ؟!.....

لا أعرف ، ولكنه يضع مسؤولية على عاتقي تفوق الوصف ، وأخشى أن لا أستطيع تحمّلها.....

كلا يا بني ، أنت تستطيع.....

فلطالما رأيتُ فى عينيك ذلك الأمل الذى لم يغب أبدا ، وتلك النظرة التى تدل على إنتمائها لشخص يستطيع القيادة ، بل يستطيع دوما.....

(3)

ماجد!... أنت أول فرحة استمتعت بها فى حياتى ، أنت النبتة التى كَبُرَت وهى تحمل بداخلها سمات الشخص الوحيد الذى أحببته بكل صدق ، لا تغب عنّي يا بنى ، اذهب وأدّى ما عليك من واجبات ، لكن عِدني يا بنى ؛ بأنك ستعود ، عِدني بأنك ستظل دائما معى.....

لا تقلقي يا أمى ، سأعود ، وسأبقى دائما بقربك ، لن أتخلى عنكِ أبدا.....

لا تبكِ يا بني ؛ فالرجال لا يبكون - أقصد القادة -.....

بالطبع هم كذلك يا أمى ، ولكن من أخبركِ أنّي فى وجودك قائدٌ أو حتى رجل!! ، أنا طفل يا أمي حين أراكِ ، حين أقف أمامكِ لا أستطيع أن أكون غير الطفل الذى ما زلتِ تُعلّميه كل شيء ، دعيني أبكي يا أمى ؛ فلطالما كنتِ ملاذي الوحيد الذى أستطيع أن أُظهِر أمامه طفولتي بغير خجل أو حتى تَصنُّع ، رغم حُبّي الذى لا يُوصف لزوجتي ، إلا أن حبك أنت يا أمي فوق حبي لها بأضعاف كثيرة ، لا تقلقي سأعود ، أعدك بذلك ، ولكن دعيني أبكي الآن ، فأنا مشغول جدا فى بكائي.....

كفكف دموعك يا بني ، فأنت الآن قائد ، والقائد لا يبكى.....

حسنا يا أبي ، أنا لا أبكي ، كنت فقط أمارس حقيقتى.....

دعك من هذا الآن يا بني ، ولتعلم أنك الآن مُكلّف بأمر قد يكون شآقا جدا ، ولكن إيّاك أن تضعف أبدا ، مهما كانت المشقة ، قاتل يا بني ، لا تستسلم أبدا ، وعد إلينا سالما.....

تدرى يا ماجد!.....

ربما أكون صغيرا لا أستطيع التعبير عما بداخلي تجاهك كما فعل أبوك وفعلت أمك ، ولكن سأخبرك بأمر واحد ؛ أنا أحبك جدا ، ولا يمكنني العيش بدونك ، عد إلينا سالما يا أخي.....

هيييييه.....!

أيها القائد ها أنت ذا ترحل عنّا ، وأشعر أنّ فِراستي بدأت أولى خطوات التحقق ، لا تنس الناس يا بني ، لا تظلم أحدا ، لا تخف أحدا ، استقم يا بني ؛ فأنت الآن مسؤول عن كثير ، بل عن كثير جدا لو تعلم.....

رحل ماجد بعدما ملئ قلبه من تلك الكلمات التى خرجت من أسرته ومن الجد ، يفتش بداخله عن كلمات لتصف ما هو فيه من شعور الآن ؛ فيجد كل الكلمات قاصرة لتفعل ذلك ، يُمسك بتلك المفكرة التى أعطتها له سلوى عند رحيله ؛ فهى كانت ملخص الوداع الخاص بها لأجله ، يفتحها ليجد كل صفحاتها فارغة ، وكأن السطور تناديه أن اكتب..... (وكأنكِ يا زوجتي الحبيبة تعلمين ما أحتاج إليه فى هذا الوقت).....

تلك اللحظات الأخيرة من كل لقاء أنا أحبها ، وأمقتها!!.....

أتشوق إليها ، وأخافها!.....

لا أجد كلمة تقع فى المنتصف بين تلك المعاني ، أنا قادم الآن على جديد ، كما أني خائف جدا ، وما يبعث قليل الطمئنينة إلى قلبي ؛ أن البشر جميعهم يخشون الجديد ، وتلك الجملة التى لا أذكر قرئتها ، أم سمعتها لا يهم ؛ فهى تزيد من عزيمتي وإقبالي ،

" الخوف قبل التجربة ضعف "

وأنا لم أكن ضعيفا قط فى حياتي ، وكذلك لن أكون.....

*****

يا إخوانى من كل البلاد والشعوب!.....

أنا أخوكم قبل أن أكون قائدا ، لقد أديت القسم لِتوّي ولن أخنه أبدا ، فأعينوني على ذلك.....

لتعلموا أمرا! ، جميع وسائل التواصل بيننا مراقبة ، وبإمكان أى عدو أن يعلم كل شيء عن تواصلنا ؛ إن استخدمنا إحدى الوسائل المتاحة.....

لذا فالتواصل بيننا سيكون بواسطة وسيلة جديدة ؛ هذه الرقاقات تم صنعها خصيصا من أجلنا ، شاركت فى ذلك دولة الإمارات ومصر وكثير من دول العرب ، حتى أنتجوا لنا هذه الوسيلة.....

سيحمل كل منا مصدرا للضوء الأبيض فى يده ، وليضع هذه الرقاقة بداخله ؛ وهكذا سيتوفر لدينا وسيلة تواصل جديدة للإنترنت تسمى تقنية مجال الضوء(Light-field) او (اللاى فاى) بدلا من تلك المعتادة (واى فاى).....

فلطالما ظل مصدر الضوء الخاص بك يعمل ؛ فنحن على اتصال مع بعضنا ، ولن يستطيع أحد التنصت علينا ، أو اختراق أى جهاز لنا ؛ طالما لا يقع جهاز المخترِق ضمن مجال الضوء الذى توجهه أنت.....

ولدينا مواقعنا الخاصة بنا ؛ تم إنشائها تحت برمجة مبرجمين شرقيين ؛ أرادوا السلام لوطنهم ولكل الأوطان.....

" هدفنا السلام لكل العالم ، وتدمير كل من يأبى السلام ؛ مهما كانت قوته ، فنحن جيش لن يقهر أبدا....."

*****

تم حل كل النزاعات بين كل الدول على يد ماجد الذى يمثل جيش الشرق.....

تمت هزيمة كل محتل غاشم ، وإرجاع كل أرض إلى أهلها الحق.....

تم تحقيق العدل والسلام بين كل الدول ، وسرعان ما تدخّل جيش الشرق فى حل النزاعات التى بين روسيا وأوكرانيا وغيرهم من البلاد ، بل وانساقت غالبية الدول تحت قانون جيش الشرق ؛

" كلنا نريد السلام ، وندمر من يريد غير ذلك....."

عم السلام البلاد كلها ، ولكن لم يدم هذا السلام طويلا ؛ فلطالما وُجِدَ دائما أولئك المخربون الجواسيس ، الذين لم يريدوا شيئا غير الخراب!.....

انقلب حال بعض البلاد ، انتشرت بعض الجرائم من جديد وزاد عددها بالدولة المصرية ؛ فلطالما كانت هى الهدف الأول للمخربين.....

" ندمر مصر ، وبعدها سيخضع العالم للدمار " ذلك كان شعارهم.....

كانت البداية بغلاء أسعار ما لا يُستغنى عنه فى كل منزل ؛ السلع الغذائية ، والمشرب ، والملبس ، وحتى وسائل السير تم احتكارها هى الأخرى.....

أصبح كل مالك لأمر ما يتحكم فى ملكه بدون مراعاة لرقيب ولا غيره ، تجد سعر الشيء هنا بثمن ، وهناك ذات الشيء بثمن آخر أعلى من الأول ، وعند ثالث بثمن آخر أعلى من سابقيه!.....

لم يُفكر الجميع طويلا ، العالم كله سمع بجيش الشرق وقوته الغاشمة ؛ التى لم ولن تقهر ، وسمعوا أيضا بقائده الذى يدعى ماجد مراد المصرى.....

فتوافق قرار الجميع على تولية قائد جيش الشرق رئاسة الدولة ، ولتبدأ أيام جديدة ، بقيادة جديدة ، تحت حكم رجل عادل ؛ يأبى أن يُظلم أحد فى ظل حكمه عن طريقه ، أو عن طريق غيره.....

الحكاية الثالثة

(رئيس دولة)

(president)

حين يسير المرء بين جرائم المواطنين ؛ يعلم أن عليه التغير.....

حين يرى من يسرق أخاه ، ومن يقتل ابنه ، أو زوجته ، ومن يغتصب الفتيات ، ومن يمارس النصب والإحتيال ، وحين يرى الجميع ذلك الرجل العادل فى نظرهم بأمنياته العظيمة لهم ؛ فقط أعطونى أموالكم وستجنون من ورائها الكثير ، أنا ضد هذا الغلاء الفاحش ، وجئت لأساعدكم ، فما يكون من الجميع سوا التصديق ؛ فهو بالنسبة لهم كالقشة الوحيدة التى يستطيعون التعلق بها ظنا منهم أنهم سينجون ، وحين يحصل على الأموال ، يعلمون حينها أنه كان مجرد قشة غير مؤهلة لإنقاذ أحد! ، بل مؤهلة لقتل الجميع بنوبة قلبية على تصرفهم الأحمق هذا!.....

من يسرق لا يحاسب ، ومن يقتل أيضا لا يحاسب ، ولتلك الأفعال سبب وجيه لإرتكابها ؛ هو أنه سرق وقتل فى الخفاء ، لم يره أحد!.....

انتشرت كل الجرائم بأفظع صورها ، بل لن تكون هناك أى إثارة للدهشة إذا جاء فرد وسرق آخرا أمام العلن ، والأخير هذا أمسك به وسأله لماذا سرقتني؟ فيقول لأنى لم أستطع توفير قوت يومى ، فلهذا لجأت لسرقتك!.....

حين سُمّيت (لندن) بأرض الضباب ؛ كان هذا لكثرة إنتشار جرائم القتل بها ، والإغتصاب ، وغيرهما من الجرائم ، أمّا الآن حين أصبحت كل الجرائم منتشرة فى العالم وبكثرة ، فينبغى على العالم أن يطلق على نفسه ؛ عالم الضباب!.....

تُرى هل سيعود كل شيء كسابقه ؟ ، هل سيعود الأمان ؟ ، أم سنظل مشردين إلى أمد لا علم لنا به ؟!.....

هل سيحدث شيء ؟!.....

يجب أن يحدث شيء ؛ وبأسرع وقت ممكن ، لتأتى معجزة وتقضى على الجميع ، أو تحيله إلى سلام وآمان كما كان ، ليأتى شيء ما ؛ يغير كل شيء ، أو ربما شخص ما.....

(1)

(أقسم بالله العظيم ؛ أن أحافظ على الدستور والقانون ، وأن أرع مصالح الشعب.....)

دوى بعدها صوت عال جدا من التصفيق الحار ؛ إفتخارا بالرئيس الجديد للبلاد.....

سعادة عارمة تعتلي كل الوجوه ؛ المحبين حقا لماجد ، وكذلك المتصنعين حبه ؛ خوفا على مكانتهم التى هم فيها.....

ثم.....

صمتٌ قد عمَّ أرجاء الأماكن ، تُنصِتُ الآذان جيدا لكلمة الرئيس الجديد.....

تنحّم ، ثم قرّب مكبر الصوت من فيه ، وها هو ذا يتحدث.....(باسم الله ، وكذلك الحمد له سبحانه ، والصلاة والسلام على رسوله الكريم.....

لتعلموا أيها المواطنون أنّي فرد منكم قبل كل شيء ، وتلك البروتوكولات التى تُقام يوميا ؛ أرى أن معظمها بلا فائدة ، فلو تسمحوا لى ببعض التعديلات التى سأُجريها مستقبلا ، لعلها تَسُر البعض ، ولكنها يقينا ستسوء البعض الآخر ، والأمران عندى سيان ؛ فأنا لن أهتم بما يسوءك وما يسرك ، ولكنى سأتّقى الله فيك وفى نفسى أولا ، أنا مواطن قادم إليكم من بينكم لأقود ، لست غريبا عليكم ، ولست من ذوى الطبقات العليا التى تتمتع برغد عيشها ، بل أنا دونكم.....

أما بعد.....

فمن يحمل عنّي أوزارى يوم ألقى ربى ؟.....

(ساد الصمت ولم يجب احد.....)!

بالطبع هذا الذى توقعته ؛ لن يفعل ذلك أحد ، لذلك أُعلنها من موقفى هذا ؛ أننى سأبذل كل ما بوسعى وأكثر فى رعاية المواطنين بتقوى الله ، تلك الجرائم المنتشرة أنا قادم إليكم فانتظروني ، ذلك الخبال ، وتلك التفاهة التى نراها كل يوم ؛ لن نراها بعد الآن.....

أفسحوا لي المجال لكى أصل بكم لبر السلام والأمان ، أعينوني ولا تتركوني وحدى أسير!.....

(دوى صوت التصفيق الحار جدا مرة أخرى بعد هذه الكلمات التى سمعتها كل أرجاء البلدة.....

لا أريد تصفيقا ولا هتافات ، وأيضا أنا لا أحب تلك الإجتماعات التى تنتهى كما بدأت دون أن تقدم أى فائدة لأى جهة ؛ لذا سأتخذ بعض القرارات بشأنها عاجلا ، وأرجوا أن تتعاون معى كل الجهات المختصة بهذا الأمر.....

السلع الغذائية التى أصبح سعرها فى متناول أيدى الأغنياء فقط ؛ أنا لن أنساها ، الأشخاص المرتشون ، ومُستغِلِّي مكانتهم ؛ أقول لكم أننا فى عهد جديد ، سيتساوى فيه الناس ، سيتساوى فيه عامل النظافة الذى تحتقروه كلكم ، مع ذلك الرئيس الذى تعظموه كلكم ، ولو تعلموا أنه بغياب القائد سيأتي غيره الكثير ، أما إن غاب عامل النظافة ؛ فستعم الفوضى والقاذورات أرجاء الأماكن!.....

من اليوم فصاعدا إن نام أحد رعيتي جوعا فأنا مسؤول عنه أمام الله ، سأبذل كل ما بوسعي لتفقد أحوالكم ، وإن اضطررت لفعل ذلك بنفسى ؛ فلن أتأخر.....

(هنا مُطَّت شفاه الكثير من الناس ؛ متسائلة عن مستقبلها ، والمكانة التى هم فيها الآن هل ستبقى ؟ ، أم ستحدث مفآجات غير سارة وغير متوقعة لهم ؟.....)

أعدكم أيها الشعب الصامد العظيم بأنكم ستقبلون على أيام كلها خير وبركة بعد تلك الأيام العجاف التى مررتم بها.....

وفيما يخص السادة المسؤولين ؛ فأنتم قادمون على أمر عظيم جدا ، فمن رأى من نفسه إستطاعة تحمّل المسؤولية فليقبل ، ومن رأى غير ذلك فليُعلن تراجعه واستقالته من منصبه ، وإلا سيكون الأمر حاسما تجاهه ، وعظيما جدا!.....

*****

فى اليوم التالى من تولية ماجد لرئاسة الجمهورية ، تم إصدار قرار لبعض فئات الجيش وكتائبه بالنزول لأرض الميادين ؛ لمراقبة سير المصالح الحكومية وغيرها من أسعار المبيعات والمشتريات ، عمَّ العدل أرجاء الأماكن ، فباتت كل البيوت ساكنة مطمئنة غير خائفة مما يحمله الغد لها من هموم.....

تمت إقالة بعض المخالفين لأوامر القيادة ، وتم الإشتباك يدويا والقبض على بعض الفئات من الناس ؛ كانت تستولي على ممتلكات عامة مستخدمة لذلك مكانتها وسلطتها.....

*****

إن إعلام البلاد ؛ لهو دال على البلاد نفسها ، فلتتم بعض التعديلات فى إعلامنا ، ولتختفِ تلك التفاهات والأمور المُخلَّة بإعلام الوطن.....

ستُزال تلك الإعلانات المحرِّفة لإهتمام عقول مستمعيها ، لتتبدل بأخرى مرشدةٌ إياهم لأمور تفيد.....

*****

إقالة العاملين من السيدات بالأماكن والمناصب التى لن تعود إلا بالضرر على البلاد والمواطنين ،

لن تبقى هناك وزيرة إلا فى الوزارت التى تختص بأمور النساء ،

الحفاظ على وظائف النساء فى الأمور التى تتعامل فيها النساء مع النساء ؛ كطبيبة النساء وغيرها.....

دعم المواطنين الرجال بتلك الوظائف الشاغرة بدلا من النساء ، ومن لا يوجد رجل فى بيتها ؛ فنحن جميعا أبنائها ، والدولة بكل من فيها متكفِّلة بكل أمورها.....

*****

وبعد كل القرارات التى اتخذها الرئيس الجديد ، ظنَّ أنه بذلك استطاع القضاء على الفساد بشتى صوره! ، ولكنه نسي أمرا كان كفيلا بتخييب ظنه هذا!.....

أنَّ الأنفس تأمر دائما بالشر والسوء مهما وُضِعَت عليها الرقابة ، أو غُصِبَت لممارسة العدل وعدم إرتكاب الجرائم ،

وأنَّ الشياطين ما زالت موجودة ، ولم ترحل بعد!.....

(2)

منذ أن أصبحتَ قائدا يا بنى وأنا لم أعد أرى فيك ماجد ابنى الذى أعرفه ، نحن بالكاد نراك ، بالكاد نسمع صوتك فى بيتنا ،

إنها لمسؤلية عظيمة ، ولم أتوقع أن تصل لكل هذه الأمور! ، ماذا تأكل ؟ ، أين تذهب ؟ ، بل ماذا تفعل طوال يومك!! ، أنت إن جلست معنا دقيقة واحدة ، لا نملك أن تجلس معنا التى تليها!.....

إنه لهم كبير يا أبى ، ولكن هل أستسلم لكل هذا الهم والكلل!! ، كلا يا أبى أنت لم تزرع في صفة الإستستلام هذه ، بل أنا لا أعرف منها شيئا غير اسمها ،

أتذكر يا أبتى تلك الدروس الأسبوعية التى كنت تلقننى إياها ، وبالأخص ذلك اليوم الذى كنت تحدثنى فيه عن خليفة عظيم بعد عظماء قبله ؛ أتذكر سيدنا عمر بن الخطاب حين حمل جوال الدقيق على كتفه وذهب به لتلك المرأة التى لم تجد الطعام وبنيها ، فقال له قائل أحمل عنك يا خليفة المسلمين ، فأجاب الخليفة قائلا : " أتحمل عنّي أوزارى يوم القيامة ! " .....

وفى أخرى حين قال عن نفسه لرعيته : " بئس الوالى أنا إن شبعت والناس جياع " ...

كل تلك الدروس يا أبى لا تزال عالقة فى ذاكرتى ولن أنسها أبدا ، سأسعى جاهدا لتقفى أثر هؤلاء الولاة ، سأتحمل الهم والكلل وكل المشقات فى سبيل مرضاة ربى ،

" فبئس القائد أنا إن قويت والناس هزال " .....

تمر تلك الأيام الثقيلة مرور السيوف الغير حادة على الأعناق ، فتتثاقل الهموم يوما بعد يوم على ذلك القائد ؛ سواء كانت المتعلقة بأمور العامة المؤيدين ، أو بأمور هؤلاء المعارضين ومحاولات اغتيالهم المتكررة له التى دائما ما تبوء بالفشل ، لكنها تنل منه الكثير من القلق والخوف على ذويه!.....

*****

بجوارى خائنون لست أعلم عنهم شيئا ، ولكنى أحتاج إليك فى مرات كثيرة لتخبرنى ما علي فعله فى بعض الأمور.....

أتعلو العين عن الحاجب أيها القائد ؟! ، أنت أكثر الناس نبلا وحكمة ، فكيف لعجوز مثلى أن يشير عليك بأمور.....

لا يا جدى! ، أنا لست حكيما ، وفى حضورك وأسرتى أنا لست قائدا ، بل أنا ماجد الذى تعرفونه كلكم بشحمى ولحمى وحماقتى ، أحتاج عونك فى معرفة أفكار بعض الناس من حولى.....

تدرى يا بنى ، منذ ذلك الحين الذى تم تعيينك فيه قائدا ؛ وأنا أصبحت لا أهتم بقراءة الأفكار ، وإن علمت بعض الأمور التى سيُقبل الشخص على فعلها فأُفضّل أن أتصنع عدم المعرفة ؛ لربما تفاجأت بالنتائج ، وبالفعل هذا يحدث ، فليس كل ما نفكر فيه يا بنى نقوله أو نفعله ، بل قد تأتينا أفكار من حيث لا نعلم لها سبيلا ، وأنا فقط أستطيع قراءة تلك الأفكار ، ولا أستطيع معرفة قرار عقلك الذى تتخذه بشأن هذه الفكرة هل ستنفذها ، أم لا!.....

أين عائلتى يا جدى أنا لا أراهم ؟.....

أى عائلة يا بنى ؟.....

وهل أملك غيرها ؟!.....

كلا يا بنى ، لكن هناك أسرار كثيرة عليك ان تعرفها فى وقت ما بشأنى ، وبشأن تلك العائلة ، وبشأنك أنت يا(ـــــ).....

من هذا الذى ناديتنى باسمه ؟!! ، ولماذا شعرت بوخزة فى قلبى حين سمعت ذلك الإسم ؟!! ، جدى أنا أشعر بدوار شديد جدا ، ولا أستطيع تمالك نفسى ، أنا أفقد إتزانى ، أنا..... أشعر أنّي لستُ أنا!.....

*****

حين أفاق ماجد وعاد لوعيه ، بدأ ينظر لكل شيء بنظرة غريبة ، كأنه يرى العالم من الأعلى ، وكأنه يخطط لهدف جديد....

(إنّ ماجد لهو طموح جدا ، طموح لحد لا يصدق! ، ويَخشى مَن حوله عليه من طموحه هذا أن يودى به.... ، فذات مرة قرأ والده تلك الجملة التى كانت فى إحدى مذكرات ابنه ؛ وهى محاطة بكل سبل إخفاء الكتابة.....(شطب الكتابة بالرصاص.... ، إضافة ألوان على الكتابة غير زاهية.... ، تبهيت الكلمات بحك الورقة.....إلخ...) تقول : " سأقود العالم " ...

والأخرى التى تقول " سأبثُّ العدل فى أرجاء كل القلوب " ...

لربما كانت نظرة ماجد فى هذا الوقت لها صلة بتلك الجمل ، أو بتلك الأهداف وإن كانت شاهقة البنيان!.....

ولكن حين عاد ماجد من تفكيره لم يجد سوا الخراب الذى حل على البلاد من جديد ، لم يجد سوا تحطيم كل ما شيده ، تخلَّى كل من حوله عنه ، وحتى أقرب الناس إليه ؛ كلما أراد أن يتحدث مع أحد من أفراد أسرته لم يجد منه سوا إيماءات لا يفهم منها شيئا ، ويجد من البعض الآخر تلك الأكتاف العريضة التى تسير باتجاه واحد!.....

وكأنه أصبح منبوذا ممن حوله ، لا يطيقه أحد ، ولا يعلم لذلك سببا!

كل الخراب عاد مجددا ، وكأن ماجد غير موجود ، وكأنه لم يفعل شيئا ، يرى الجيش الإسرائيلى الذى يصل عدده من ستة مائة وثمان وخمسين ألف جنديا إلى ما يقارب المليون ، وتلك الجيوش العربية ما زالت مقهورة ومغلوبة على أمرها ، ويلاحظ عدد الجيش الأمريكي الذى كان عدده ثلاثة مائة ألف بعد المليون أصبح الآن يقارب المليونين ، وكذا الجيش المصرى الذى كان يقارب المئتي ألف بعد المليون أصبح الآن يقارب المليونين ، ولكن ما جدوى كل تلك الملاحظات وهو ليس الحاكم!.....أمره أصبح يُترك هباء بعدما كان ينفد ويدوى صوته كل الأرجاء!.....

*****

تتلاشى أسرته أمامه فردا فردا ؛ هذا أخوه يصرخ ، أغثني يا ماجد ، فيهرع ناحيته ليجده قد إلتهمته الأرض وأغلقت عليه ، فيجاهد لكى يُحدث شقا فيها لعله يعيده ، ولكن دون جدوى ، فتذرف الدموع من عينيه.....

وما يجعلها تتجمد كأنها جليد هو صوت زوجته سلوى تناديه من بعيد ، ماجد لا أعرف ما يحدث لي ولكنّي أشعر بوزنى يطير ، وكأنى غير موجودة
و.....ك.....أ.....ن.....ي.....س.....ر.....ا.....

ثم اختفت سلوى وأُحيلت إلى رماد يتطاير.....

ها هو يقف مكتوف الأيدى لا يعرف ما يفعل ، يجري هنا لكى ينقذ أباه ، وهناك لكى يبقى مع أمه ، ومرة ينظر إلى الجد فيجده ساكنا مُظهِرا لإبتسامة على فيه تَعرب عن كلمات تجعل صاحبنا يشعر بالقلق تارة ، وباليأس أخرى.....

(ماجد!..... أُولاا هذا صوت أمى! ، ماذا يحدث ؟.....

لا أعرف يا ماجد ، ولكن ثمة قوة ما تجذبني لأعلى ، لا أستطيع المقاومة ، لاااااا.....

ثم وأخيرا لم يبقى سوا الأب والجد وماجد ، جمع الإثنين فى صعيد واحد وأمسك بيديهما ، ولكنه شعر بأن يد الجد لا تمسك به! ، وكأنها غير مادية! ، يضرب بيده ناحية الجد فتمر يده بجسد الأخير دون المساس به! ، ثم بجانبه يفتح الوالد عينيه متفاجئا من جسده الذى بدأ يذوب ويتطاير كما تطاير جسد زوجة ماجد الحبيبة سلوى!.....

أختفت أسرته كلها ولم يبقى معه سوا الجد بجسده الهلامي!.....

(أخبرتك أن هناك وقت مناسب لبعض الأمور الغامضة التى سأتحدث معك عنها ، وأظن أنه قد حان الوقت الآن!.....

ماذا تقصد يا جدى؟! ، وما هذا الذى يحدث من حولي ؟! ، وأين أنا ؟! ، لقد اختفى كل من حولي! ، وكذلك جيش الشرق الذى كونته! ، بل كل العالم لم يعد له وجود! ، هل هى الساعة؟!.....

كلا ليس بعد ، وأنا لست جدك ، كما أنك لست ماجد!.....

الحكاية الرابعة

(الحقيقة)

(The Truth)

الحقيقة

ما العمل الآن ؟!.....

لقد انتظرنا بما يكفى ، أنا لن أنتظر حتى يذهب عقله ،عليك أن تفعل شيئا!.....

حسنا سأفعل ، ولكن أنا ما زلت مُصرّا أنه سيتحسن من تلقائه إن تركناه لبعض الوقت.....

لا لن نفعل! ، ولن ننتظر أكثر!.....

يستيقظ من نومه ينتفض يوميا ، ويخاطب أناسا ليسوا موجودين ، ويطلق على نفسه اسما لم يناديه أحد منا به من قبل ، كما أنه يُنكر أننى والدته ، وكذلك أنك والده ، إلى متى تريدنى أن أنتظر ؟! ،

حتى يلقى حتفه؟!!! ، أو يتسبب فى مقتلي ، أو مقتلك؟!!! ،

أنا لن أنس تلك الليلة التى استيقظ فيها وهو يبحث عن فتاة تُدعى سلوى! ؛ ظل ينادى بأعلى صوته ، ولم يستطع أحد منّا إسكاته ، لقد انهارت أعصابى ، وطفح كيلى ، أنا لن أرى ابنى يضيع منّي ، وأصمم على الإنتظار!.....

حسنا سنذهب به غدا إلى الطبيب ، ولكن أنا أكره أن أرى الدموع فى عينيكى ، لا تحزنى ، سأفعل كل ما أستطيع فعله من أجل ابننا ، أنا والده ؛ وهذا يعنى أننى أحبه مثلك بالضبط ، وربما ازيد.....

لا تقلقى يا حبيبتى ، سيكون بخير ، أعدك بذلك!.....

ثم نظرت إليه بعينين دامعتين ، وقالت : أرجو أن لا يصيبه مكروها أكثر من ذلك ، لقد اشتقت إلى بنى الذى أنجبته كثيرا ، ولطالما أخبرتك أن نذهب به إلى الطبيب ولكنك كنت مُصرّا على لا شيء!!! ،

كنتَ مُصرّا على ضياع ابننا! ، أنا لن أسامحك إن حدث لابنى مكروه أو لقى حتفه ، لن أسامحك أبدا!.....

ضمها بين ذراعيه وهمس فى أذنها ،

لا تقلقى ، سيكون بخير ،

ثم بدأت الدموع تُذرف من عينيه هو الآخر!.....

(1)

ما الذى أصابه أيها الطبيب ، هلّا طمئنت قلوبنا ؟.....

يؤسفنى ما سأقوله لكم! ، ولكن عليكم أن تعلموا ماذا حل بولدكم!.....

صكت الأم بيدها على صدرها ، وارتعشت يد الأب وهو ممسكا بها ؛ باحثا عن أى دعم أو قوة يقدمه أحدهم إلى الآخر فى هذا الوقت.....

صمت الطبيب هنيهة وطأطأ رأسه ، وحين عاد يتحدث قال : إن ابنكم فى درجة متأخرة جدا من انفصام الشخصية ، بل لم تمر عليّ حالة شبية بحالته هذه أبدا ؛ يرى نفسه عديدا من الشخصيات فى آن واحد ، بل ويتصور أن كل شخصية منهم مستقلة بذاتها عن الأخريات.....

كان عليكم الإسراع بعرضه على الطبيب فى بداية هذه الأعراض ، ولكن مع كل هذا التأخير سأضطر أن أصف له العديد من الأدوية التى سيتناولها معا ؛ وهذا الأمر إما أن يجعله يتحسن ، وإما أن يودى بحياته!.....

قالها الطبيب مع تقديمه لكل أساليب الإعتذار التى كُتبت فى الكتب ، والتى قيلت فى الإجتماعات ، ولكن كل ذلك لم يغنِ عن الأم شيئا من دموعها التى انسكبت كمطر ينزل من السماء فى ليلة من الشتاء يصحبها كل الصقيع مصحوبا بالبرق والرعد!.....

تاهت كل الكلمات عن لسان الأم ، فلم تستطع أن تلتقط كلمة واحدة لتخرجها من فيها!.....

(ها هى الأدوية التى يجب عليكم إحضارها.....
olanzapine…….quetiapine…risperidone……. sertindole…….
(paroxetine……citalopram……fluoxetine…….

- وبالطبع أنا لن أحتج أن أخبرك عن الخط الذى كُتبت به هذه الأدوية - ولكن الطبيب ها هنا قد طلب من المريض أمرا جدُّ غريبا ؛ لقد اتفق على ميعاد محدد يأتيه فيه ويقص عليه ما كان يراه بالتفصيل الدقيق عمّا قصّه فى السابق ، وأن يحضر معه أبوه لمراجعة ما سيقال.....

*****

كان اليوم الأول الذى يذهب فيه مريضنا هذا إلى الطبيب بصحبة والده ، تم استقبالهم ، ثم كان السؤال الأول - بالطبع من الطبيب - ما الذى كنت تراه فى بداية الأمر يا هشام ؟!...

بما أنّى فى قمة هدوئى الآن ، فأستطيع أن أُخبرك بكل شيء أيها الطبيب.....

لقد كان يوما هادئا بالنسبة للجميع عدايا أنا ، فالصمت كان يحل فى أرجاء المكان بالخارج ، أمّا بداخلى فكانت كل ضوضاء العالم تتحدث فى صوت واحد.....

أرى أصدقاء من الطفولة مرت السنوات الكثيرة منذ أن إلتقينا ، وأرى رجلا غريبا يشيب شعره رويدا رويدا ، وكلهم يتحدثون ، وحتى الجدار من حولى يتحدث!.....

فلم أعد اطيق ذلك ، ولم أخبر به احدا ، فلجئت لكشف هذا السبب ذاتيا ؛ فمن بين التنقّلات الإلكترونية ، والأخرى الواقعية ، وغيرها التى تكفلت بها عيني وعقلى (قراءة الكتب) وجدت فى كل منهم سببا وجيها لما يحدث لى.....

فكل هذه المصادر أشارت أن الذى يحدث لى نوعا ما من تواصل الموتى معى ، فأصوات هؤلاء لم تكن حقيقة أبدا ، وصداها الذى كان يدوى عاليا كلما تحدثوا.....

وما قوّى تلك المصادر أكثر ؛ هو أننى كنت أصدق أجدادى جدا ، وكل واحد منهم أخبرنى بقصة لا بأس بها بشأن تواصل الموتى مع الأحياء ، وأتذكر منها تلك الذبابة الخضراء التى كانوا يخبروننى دائما أنها روح من أحد أقاربك إياك أن تتسبب فى طردها أو ضربها ، دعها تفعل ما تشاء وتذهب حيثما تشاء ، حتى وإن كانت وجهتها داخل أُذنك ، فلها الحق فى ذلك ، والواجب عليك أن تدعها وشأنها!.....

رجل فى قريتنا كان يمارس نوعا غريبا من التعاويذ على الذين يذهبوا إليه لأغراض عدة يزعمها الكثير من الناس ، فتكثر عدد المرات التى ترى فيها ذلك الرجل وهو عائد من المقابر ويخفى شيئا فى ثيابه أو فى حاويته عندما يأخذ حاوية معه ، ويحرص على أن لا يراه أحد - المعتوه لا يدرى أنه يفعل ذلك فى وضح النهار أمام العلن -.....

وذات مرة ذهبت إليه أطرح عليه أمرى ؛ لعله - كما تزعم الناس - يستطيع المساعدة ، فبينما أدخل سردابه إذ بى أرى تلك العظام ملقية على جانب ، والجماجم على جانب آخر ، وأكثر تلك العظام كانت من نوع المفلطحة (كعظمة لوح الكتف مثلا) لأكتشف بعدها أنه يمارس (النكرومانسي) المزعوم أنه طريقة اتصال بين الأحياء والأموات يستطيع فعلها هو!.....

رأيتنى أنا ذات (النكرومانسر) والأموات يتواصلوا معى ليخبروننى بما يفكر فيه الأحياء ، ولا أدرى كيف يحدث هذا.....

فظل كل شيء يبدو كأنه غريب ، وسرعان ما أعد للواقع وأرى أن كل ذلك أوهام لا أصل لها من الحقيقة ، وليس هناك (نكرومانسر) أو غيره ، والرجل الذى رأيته يأتى بالعظام من المقابر

كان لا شيء! ، بل هو خيال رأيته أنا وحدى ، كذلك أخبرنى كل من سألته عن هذا الأمر من الناس!.....

أتتصور ذلك معى أيها الطبيب! ، ظللت أحاول إقناع كل الناس بأن ثمة أمر غريب يحدث فى هذه البلدة لا يعلمه إلا أنا ، وثمة غرباء يجيئون ويروحون فى مختلف الأوقات ولا أحد يراهم غيرى ، أنَّا للناس بأن تُصدق شخصا مثلى؟! ، هذا إن لم يتهمه الجميع بأنه مجنون!.....

وهكذا يا سيدى الطبيب أصبحت من حين لآخر أتشكك فى أمرى ، وحتى أنت لن تصدقنى إن أخبرتك الآن بأن ثمة رجل خلفك بعين واحدة يأمرنى أن أقتلك لكى أتحسّن ، أعلم أنك تظن بى الظنون الآن ولا تريد تصديقى ، ولكن كل ما أريده منك حقا هو أن تسمح لى بذلك ؛ لعلى اتحسن فعلا كما يخبرنى ، فهو يردد ذات الجملة مرارا (ستُشفى بقتله...) ويشير إلى رأسك!.....

تحرك هشام من مكانه بعض الخطوات إلى أمام ، يقترب من الطبيب وينظر إليه متوددا (دعنى أقتلك لأتحسن!.....دعنى أقتلك لأتحسن!.... د.....ع.....ن.....ي.....

ثم سقط على الأرض إثر ذلك المنوم الذى رشه الطبيب على وجهه - فأى طبيب نفسي يمكنه أن يأمن على نفسه من مرضاه ؟! وبالأخص لو كانوا يسمعون ويرون الهلاوس مثل مريضنا هذا - .....

لا تقلق يا أستاذ رمضان سيكون بخير ، ولكنه خلد إلى النوم الآن لبعض الوقت ،

سنعطيه بعض الأدوية التى تساعده على التحسن ، بالإضافة لتلك التى سيتابع أخذها فى المنزل.....

(2)

أسير بجوار والدى فى هدوء تام - بالطبع أنت تعلم أن وجهتنا إلى الطبيب النفسي - إلى أن وصلنا ، جلس الطبيب بعد ترحيبه بنا ، وطلب منا أن نجلس لنبدأ بالحديث.....

كيف أنت اليوم يا هشام ؟...

أنا بخير أيها الطبيب....

أرى أنك تتحسن عن السابق ، هل أنت جاهز لتتحدث معى بحكاية أخرى ؟...

حسنا ، سأبدأ.....

الأحداث من حول الجميع مريرة ، ولم ولن تُرض أحدا قط ، ولكن الصمت ظل يسود.....

إلى متى ؟!.... لا أدرى! فلقد انتُهِكَت الحرمات ، وارتُكِبت كل الجرائم بشتى أنواعها! ، فإلى متى سيظل الصمت يسود!.....

ءإلى أن يحدث لنا ما يحدث فى إخواننا ؟!.....

وهل وقتها نأمل أن نملك إستطاعة الكلام ؟!....

هل وقتها سنستطيع تحريك ساكنا ؟!....

نحن نفعل ذلك الآن لأنه بإرادتنا أن نصمت وأن لا نحرك ساكنا ، ولكن بعد مرور الوقت ربما لن يكون بإرادتنا! ، بل رغما عنّا!.....

عدد الدول الشرقية تسع عشرة دولة ، إن اجتمعوا معا ، من يمكنه أن يتصدى لقوة غاشمة مثل قوتهم التى سيصبحون عليها ؟!.....

إن شاركت كل دولة بما تستطيع المشاركة به من جنود ، وعدة ، وعتاد.....، إن توحدت إرادة الجميع لتحرير إخوانهم ، وتحقيق الأمن والسلام لكل من يطلبه ، أمّا من يأبى فوقتئذ يكون هو العدو الحقيقي ، إن حدث كل ذلك فما المُتَوقَّع لمصير كل غاشم يريد الإحتلال ؟.....

عرضت فكرتى تلك على أحد القادة العسكريين فى الجيش الذى ظننت أننى إلتحقت به ، ولما كانت الأفكار أفكاري ؛ فكانت تطيع أوامرى ، فجعلت ذلك القائد يقبل عرضى ويعرضه على

مَن يعلوه مكانة ، إلى أن توصل إلى قادة العرب كلهم ، ومنهم من رحّب ، ومنهم من لم يفعل! ، لكن الذين رحبوا كانوا غالبين ؛ فبدأ التنفيذ.....

الخطة شاركت فيها كل الدول وقادة الجيوش ، ثم ـــــ.....

ما بك يا هشام ؟! ، أكمل نحن نستمع .....

رأسى أيها الطبيب تؤلمنى جدا ، أعاااااااااا....

قام من مجلسه وأخذ يتخبط يمينا ويسارا وهو ممسكا رأسه بقوة بين يديه!.....

هشام!... عليك أن تهدأ ولتجلس الآن.....

أنا لن أهدأ أبداً حتى تتحرر بلادى وبلاد إخوتي ، كما أنّى لست هشام! ، أنا ماجد مراد المصرى ، قائد جيش الشرق ، وآمرك أن تُطيع اوامرى أيها الطبيب ، وإلا أمرت بسجنك.....

حسنا أيها القائد ، فقط اجلس ولنتحدث قليلا.....

علامات الدهشة كانت تظهر على وجه الوالد الذى لا يفهم شيئا مما يحدث لابنه ، لكنه كان خائفا جدا - بالطبع ليس على نفسه ، بل خوفه كان من أفعال ابنه تلك عليه - ولا يصدق أن ابنه قد جن جنونه هكذا.....

على إسرائيل هذه أن تفهم أننا أقوياء جدا ، ولم ولن نُقهر أبداً ، سأُوحِّد رغبة كل جنودي ، وسأنطلق من الغد إليهم ، أظنهم قد نسوا تلك الهزيمة الساحقة التى ألحقتها بهم أنا وجيشي فى السابق ، لذا احتاجوا بمن يذكرهم بها ، سأُلقّنُ هذه (الكـــ...) درسا لن ينسوه أبدا.....

نحن نتفق معك أيها القائد ، ولكن هلّا أخبرتنا ببعض الأمور عن ذلك الجيش الذى تنوى القتال به ، مثلا كم عدد جنوده ، وما هى معداته ؟.....

الجيش عدده لا يُحصى ، والمعدات من أحدث تقنيات العرب صناعة ، ولن نستسلم أبدا لكل ما يحدث لإخواننا فى كل مكان ، عاجلاً سيحل غضبنا على كل من يخالف رغبتنا فى تحقيق السلام والأمان.....

حسنا أيها القائد ، أين هو هذا الجيش ؟!.....

صمت هشام طويلا ولم يجد جوابا لهذا السؤال ، نظر إلى والده الذى ملئت الدموع عينيه ثم ارتجف ، ونظر إلى الطبيب هنيهة وأردف ؛ الجيش ينتظر فى كل مكان فى شتى البلاد ، فقط ينتظر ذلك القائد الذى سيُحرّكه ، وتلك الرغبات والدعوات التى ستجمعه ، هو موجود بالفعل ومنتظر.....

سكت مرة أخرى ثم وضع يديه على وجهه منكسا رأسه أمامه ،

لا تحزن ، فكلنا نسعى لتحقيق هذا الأمر ؛ نقدم أقصى ما لدينا من الدعوات والمساعدات إليهم ، لست وحدك من تسعي لأجلهم ، لست وحدك يا هشام!.....

انتفض مرة أخرى من مكانه ، وقفز قفزة عالية وهو يقول : أنا لست هشام أيها الأحمق ، أنا ماجد مراد المصرى ، ولن أهتم بدعواتك تلك ولا بمساعداتك الهزيلة التى تظن أنها مساعدات أصلا! ، وتظن حتى أنها تصل إليهم!.....

أنا قائد جيش عظيم ، وسأفعل كل ما بوسعى من أجل تحريرهم ، هل سمعت ذلك!!

إقترب من الطبيب محاولا الفتك به ، ثم سرعان ما دخل عليهم طاقم التمريض محاولا منع ذلك المريض مما يفعل ،

وبعد التمكّن منه جيدا ، أمر الطبيب بحقنه بمادة لا أذكر لها اسما ، لكنها حديثة فى مجال الطب ، ولا يستخدمها الكثير من الأطباء.....

عم الصمت أرجاء المكان وتنهد الطبيب الصعداء ثم أردف ، حسنا أريحوه الآن على السرير فى الداخل لبعض الوقت ، حالما يستيقظ.....

فى العالم الآخر الموازى ، كان جالسا لا يستطيع السيطرة على أعصابه التى أصابته بمرض الشلل الرعاش المبكر (Parkinson’s disease)..... ينظر إلى الطبيب بعينين مليئة بالدموع والإنكسار ،

فيطمئنه الأخير قائلا :(لا تقلق يا أستاذ رمضان ، لقد تقدم الطب كثيرا ، وأنا أفعل ما أفعله من إستماع لما يُخبرنى به ابنك لكى أجعله ينساه ؛ عن طريق حقنه بعقار مستحدث ، يعمل على مسح تلك الذكريات الأخيرة المسببة لإثارة أعصابه قبل الحقن مباشرة ، لذا فاطمئن ، إن ابنك يتحسن يوما بعد يوم.....

إن هذا الأمر لا شك أنه يجعلنى حزينا ، ولكن الأمر الذى أحزنني أكثر ؛ هو تفكير ابنى وهو فى هذه الحالة لتخليص الفلسطينيين مما هم فيه ، ونحن لا نفعل مثله ، رغم قوتنا العقلية والجسدية التى لم تفارقنا!.....

إنها قضية عظيمة حقا ، والأعظم أن حلها قد يكون خطر على بال ابنك الآن ، وهذا كان كل شيء ، وانتهى!..... فلو خطر على بال قائد لكانت القضية حُلّت الآن!.....

أتعنى أن ابنى سينسى فكرته هذه فور استيقاظه ؟! ، وأيضا ستضيع هباءا ؟!!!...
أنا لا أتمنى أن يحدث لهذه الفكرة ما يحدث لغيرها من التجاهل أيها الطبيب ، أنا أرى أنها سديدة وتروق لى ، وأيضا ستروق للكثير من القادة والجنود.....

سأوضح لك أكثر يا سيدى ، ما الفائدة من فكرة خطرت على بال شخص يتبادل الممارسة مع الطبيعة ؟! ، فهى كما أسلفت بإخبارك لم تخطر على بال شخص يستطيع خرق الطبيعة ، أو ترويضها..... والشيء الذى لا يأتى على ذكر القادة ؛ لن ينفذ ، والذى لن ينفذ ؛ الأفضل له أن يتلاشى ، لا أن يبقى ويزعج ضيوفه!.....

*****

(لقد استيقظ المريض وهو فى حالة جيدة أيها الطبيب ، هل نحضره إلى هنا ؟...

نعم أحضروه.....

مرحبا بك ، ءأنت بخير الآن ؟ .....

نعم ، ولكن ماذا حدث لى ؟ ، أشعر أننى ربما فقدت شيئا ما ، لا أدرى!.....

لا أيها القائد ، أنت لم تفقد شيئا ، بل امتلكت أمرا لم يمتلكه الكثير.....

ابتسمتُ مما قاله أبى ، فهذه هى المرة الأولى التى يناديني فيها بالقائد ، والأمر الغريب فى هذا الموكب حقا ؛ أن الطبيب لم يبتسم ؛ لكانت الإبتسامة أعلنت أن ما قاله أبى مزاحا أو دعابة يحاول التخفيف بها عنّى!.....

*****

والآن يمكنكم تكرار الزيارة بعد شهرين من الآن ؛ فنحن على مستوا عال من التحسن ، ولا تنس المداومة على أخذ العلاج فى وقته يا هشام.....

حسنا أيها الطبيب ،

شكرا لك.....

(3)

من الجيد رؤيتك بخير يا بُني ، لقد اشتقت إليك كثيرا.....

كان لا يتكلم ، فقط ينظر إلى أمه صاحبة الصوت ويبتسم ، وإلى أبيه ويبتسم ، يحاول استيعاب الأمور من حوله! ، يشعر بأنه ولد من جديد ويحتاج لأن يتعلم الكثير ، بل الكثير جدا!.....

يجلس فى صمت ، ويتحرك فى صمت ، وكأنه نسي كيفية الكلام! ، لم تعد له أية اهتمامات ، يروح ويجيئ بلا هدف غير الأهداف التى تفرضها عليه غريزته البشرية ، فلولاها لظن الجميع أنه لم يعد بشرا!.....

اتخذ الأمر بضعة أيام ليستوعب ما هو فيه ، ثم وأخيرا قد استعاد حياته بعض الشيء ،

تذكر أنه ما زال يدرس فى الجامعة ولديه أهداف يسعى لتحقيقها ، ولكن ثمة أمر غريب أصابه! ، أصبح يحب الإنعزال كثيرا ، والجلوس بعيدا عن الصخب مِن حوله ؛ لا ليمارس شيئا ما ، لكنه فقط أحب ذلك بدون سبب!.....

كلما حاول التعمق فى تفكيره ليستنتج أسباب شعوره هذا ؛ أُصيب بإنزعاجٍ صَاحَبه التوتر ، فتراه يُحرك رأسه بقوة ، كما يفعل الشخص حينما يدغدغه أحد أصدقائه على حين غفلة ، ثم لا يلبث أن يُهدِّأ نفسه بحركة إعتاد على فعلها بيده كلما أصابه ذلك الشعور!.....

*****

حين يأتى الشتاء بهوائه البارد بعض الشيء ، وتصحبه تلك الغيوم من الأعلى ؛ لترسم صورة كفيلة بإيقاظ كل مشاعر الحب والعمق بداخلك ، ثم يتبع كل ذلك قطرات خفيفة من المطر.....

تصيح عليها أصوات الأطفال الصغيرة فى الشوارع ، حين يعيش المرء تلك اللحظات ، يشعر حينها أن عليه السير بخطوات هى أقرب إلى السكون ، واضعا يديه داخل معطفه ، متأملا أصوات الطيور التى ظهرت فجأة عند بدء المطر.....

يسير هشام وسط حشد من الأطفال يتغنون بأغانى المطر المعتادة..... (مطرى يا مطرة ، خلى عيالك عشرة).....

وكلما انتهى من حشد دخل فى آخر ، إلى أن إزدادت الأمطار غزارة ، وبدأت أصوات الرعد تضرب كالصواعق ، تسبقها تلك الومضات المخيفة من البرق!.....

فأتى كل والد يصرخ فى ولده أن عُد إلى المنزل فورا ، فتتعالى أصوات الصراخ ، ولكن هذه المرة ليس فرحا! ، بل خوفا من أصوات السماء تارة ، وخوفا من تلك السيول التى ملئت الأرض تارة!.....

أمّا عن صاحبنا ، فلم يُغيّر من سرعة سيره.....

ظل يمشى ، وفى مرمى رؤيته يرى فتاة تدور فى مكانها فرحا ، وتتطاير خصلات شعرها معها!.....

ظل ناظرا إليها ولم يعد لتنكيس رأسه أرضا كما كان يفعل ، رغم الماء الذى يتساقط على وجهه! ، خطواته تقترب منها ، ثم اتكئ على أحد أماكن الجلوس بجواره ، فلاحظ أن هناك وردة حمراء أمامه مباشرة! ، وحين دقق النظر ؛ وجد الكثير من الورود حوله ، وخلفه أكثر!.....

لقد كان يسير داخل بستان ورد أو حديقة جميلة ، ولكنه لم يلحظ ذلك إلا عندما ظهرت تلك الفتاة أمامه!.....

ظل يراقبها وهى تدور مصدرة أصواتا تُعبّر بها عن فرحتها العارمة بما يحدث ، إلى أن شعرت بالدوار من فعلها ، فتوقفت فجأة ، - يالا جمالها - وهى تحرك يديها وكأنها تريد الإستناد على شيء مخافة أن تسقط!.....

وحين عاد إليها توازنها ، ها هى شاخصة ببصرها إليه ، تراه واقفا يهطل المطر من معطفه لأسفل ، ووجهه الذى يدل على!..... يدل على الكثير والكثير!!.....

(من أنت ؟.....)

فلم يجب ، وتحرك إلى الأمام بخطواته الهادئة!.....

(يا هذا من أنت ؟..... أنا محبٌ للمطر!.....)

أصر على متابعة السير وكأنه لا يولها أى اهتمام ، وحين ابتعد عنها ؛ إلتفت إلى الوراء ، فوجدها جالسة على أحد مقاعد الجلوس ، وتضع يديها على وجهها!.....

ألزم نفسه بأمر لم يُلزِمه به أحد! ، فرض على نفسه أن عليه العودة ليسألها ما بها! ،

وهذا ما حدث ، ولكنه لم يتكلم! ، يقف بجوار مقعد جلوسها ولا يصدر همسا ، وما جعلها تنتبه له ؛ قطرات الماء تلك التى كانت تُقذف عند اصدامها بمعطفه لتصيب أماكن لم تكن قطرات الماء التى تنزل من السماء تصيبها وحدها بدون تدخل خارجي!.....

(من أنتِ ؟.....)

نظرت إليه ولم تجب ، ثم عادت لتضع يديها على وجهها ثانية.....

(من أنتِ ؟.....)

أجابت وهى لم تُغير من وضعها.....

(أنا محبةٌ للمطر..... ما بكِ ؟..... لا شيء ، فقط أنا هنا لمقابلة صديقة طال غيابها عني!..... وهل ستأتيكِ فى هذه الظروف ؟! .....

هى لا تأتى إلا فى ظروفٍ كهذه!.....

إذاً هى صديقة حميمة جدا ، أحسدك عليها.....

لا تفعل ، لأني أكتشفت الآن أنها ليست صديقتى وحدى!.....

هل تغارين عليها ؟..... بالطبع ، وأتحدث إليها كثيرا رغم عدم سماعها لى ، لكني لا أستطيع غير أن أحبها!.....

هل يمكننى سؤالك من هى ؟ ..... أنت تعرفها!.....

أنا لتوّي رأيتك ، فكيف لى بأن أعرفكِ ؟! ، لا سيما وأعرف أصدقائك ؟!.....

ربما ، لكنك حقا تعرفها وتحبها ، ولكني لا أدرى ؛ أهى تحبنى أنا أكثر ، أم أنت ؟ وهذا ما يجعلنى أضع يدي على رأسى وأشعر بالحزن.....

لا أفهمكِ!..... ولا أنا أيضا! ، ولكنى أحبها ، وعليكَ أن تتخلى عنها لأجلي!.....

حسنا ، ولكن أخبرينى أولا من هى ؟.....

إنها الأمطار!.....

تقدم خطوتين إلى الأمام ، ثم إلى اليسار ، ثم جلس بجوارها وشبك بين يديه ووضعهما أسفل ذقنه موجها وجهه أمامه ثم سألها.....

(ماذا ستفعلى إن تركتَكي إلى الأبد ؟!.....

لن أحب أحدا ثانية ، ولن أثق فى أحد أبدا ، فلقد تركني الكثير قبلها ، وأهوّن على نفسى دائما بتذكيري بها ؛ فهى صديقتي منذ الطفولة.....

أهذه القطرات كالبقية من السماء ، أم هى دموع ؟.....

لا أدرى!.....

ما اسمكِ ؟.....

رحمة ، وأنت ؟.....

لا أدرى ، يمكنكي مناداتى بأى اسم أردتى ؛ فأحدهم كان ينادينى بماجد ، وآخر هشام ، وآخر مراد ، وآخر معاذ ، وأخر كان ينادينى بالقائد!.....

حسنا ، هشام ما أمرك ؟.....

انا مريض نفسي ، وأرافق تلك المسميات الغريبة من الأدوية!.....

هل تتوقع مني أن أخاف منك ، أو شيئا من هذا ؟.....

لا تُلامي على هذا إن حدث.....، لقد رحلت صديقتنا!.....

اعتدت منها على ذلك ، فهى كما تأتي فجأة ، كذلك تغادر.....

أنتِ جميلة!.....

وأنت أيضا!.....

هل تبادلينى ذات الشعور ؟.....

نعم أفعل!.....

(مَن هذا الغريب الذى يُحدّثُ نفسه ؟ ..... لا أدرى ، لكني أراه يفعل ذلك منذ وقت! ، هل نتصل بالشرطة ؟.....)

نظر هشام حوله ليجد تجمعا هائلا من الناس تُسيطر عليه ضحكات هستيرية!! ،

لم يجد بجواره رحمة! ، كأنه كان فى حلم واستيقظ منه! ، ولكن الإختلاف فى هذا الحلم أنه كان أثناء اليقظة! ، والجميع من حوله يستمعون للأحداث!.....

(بُني!!.....

أخبرتك ألا تخرج الآن! ، فقط لا تقلق! ، لم يحدث شيء.....

مَن كل هؤلاء يا أبى ؟! ، ولماذا يضحكون ؟! ، وأين رحمة ؟!.....

هيا بنا نعد يا بني ، وسأجيبك عن أسئلتك كلها فى المنزل!.....

ابتعدوا ،.....

دعونا نمر رجاءا ،.....

أعتذر مما حدث من ابنى ، ولكنه كان رغما عنه!! ،.....

رجاءا لا تصور! ،.....

رجاءا ابتعدوا! ،.....

دعونا نمر!.....

(4)

كم هو هادئ وجميل أثناء نومه ، حقا إنه يثير بكائى مما يحدث له! ،

لا أدرى كيف حدث له ذلك ؟.....

لقد اشتقت إلى ابنى كثيرا ، أعد لى ولدى حيثما تركته يذهب!!.....

سيكون هذا سبب فراقنا إن لم تتحسن حالته! ، لقد اشتقت إلى هشام كثيرا.....

وما ذنبى أنا فيما حدث له ؟!.....

أخبرتك ، وسأخبرك أنه ابنى مثلك أيضا ، أحبه كثيرا ، ولا أحتمل أن يصيبه مكروه ، ولو كان بيدى شيء لفعلته! ،

حتى إن كنت أستطيع التبادل بيننا لفعلت ، فلا يضيرنى إن أصبحت أنا مكانه ؛ لطالما سيكون ولدى فى أمان وسلام.....

أنا أستمع إليكما جيدا! ،

وليس لأحد منكما ذنب فيما أنا فيه ، ما زلت أتابع أخذ الدواء وسأتحسن عما قريب كما أخبرنى الطبيب.....

وحتى إن لم أتحسن فأنا مسرور بهذه الأوقات التى أصاب فيها بما تعلمون! ، حقا يا أبي لقد رأيت فتاة جميلة جدا وهى غير موجودة فى الحياة ، فقط رأيتها فى مخيلتى ثم خرجت منها لتتحدث معى وسط أجواء من الأمطار لطالما عشقت أن أعاصرها.....

أحببت ما أنا عليه حين كونت جيش الشرق ، وانتصرت به على الأعداء وحققت السلام بين العالم.....

وأحببت نفسى حين أصبحت القائد وفعلت كل ما أردت فعله بالبلاد.....

أحببتنا حين كنا نعيش فى منزل واسع جدا تحيط به الأشجار والزهور.....

أحببت أخى الذى لم تنجبانه بعد ، أحببت زوجتى التى لم أتزوجها.....

كل شيء يا أبى قد وجدته فى عالمى الذى صنعته بنفسى ، أو صُنِع رغما عنّى!.....

فلماذا أهوى الشفاء أو العودة للواقع المرير هذا ؟!!! ،

أنا لن أكون هنا جيش الشرق ، ولن أحرر فلسطين ، ولن أتزوج زوجة بجمال سلوى ، أو أرى فتاة فى روعة رحمة وتناغمها مع أفكارى!.....

هنا يا أبى لن أكون أنا كما أريد ، بل كما يريد الواقع والظروف وكل شيء يحيط بى!.....

أنا سعيد حيث أنا يا أمى لا تحزنى ، ودعونى فى عالمى كما أنا!.....

تحول جسد الأب فجأة إلى ظلام حالك ، تعلوه عينان مخيفتان جدا ، والأم بدورها نزعت رأسها من فوق جسدها وهى تبكى وتقول: حسنا يا بنى سنتركك وحدك ، لكن خذ هذه الرأس معك أينما ذهبت ؛ لأطمئن عليك من خلالها!.....

(لاااااا).....

أعطت له الرأس ، ثم جرت إلى الشرفة وقفزت منها.....

(لاااااا)....

حركات مخيفة وسريعة صادرة منه وهو نائم أتى على إصرها الوالد فزعا ، ليجد ولده يصرخ ويقاوم شيئا ما أثناء نومه!....

(هشام!....هشام! يا بنى ما بك ؟!!.....)

فاستيقظ صاحبنا وهو يصرخ.....احتضنه والده بشدة ،

(ما بك يا بنى ؟!....أنا هنا بجانبك لا تقلق ، لا تبكى يا بنى ، لا تبكى.....

وأخذ يربت على كتفه....

*****

اليوم هو معاد الزيارة الأخيرة للطبيب النفسى ؛ ويتجهز هشام ووالده ليذهبا الآن ، وها هما يخرجان من المنزل بهدوء كالعادة ،

يسيران فى الطرقات ، الأب يُلقى السلام على هذا وعلى ذاك ، وأما صاحبنا فهو صامت تماما كعادته! ، ولكن الغريب هذه المرة ؛ تلك العينان التى ينظر بها ؛ هى لا تدل على هدوئه ، لكن على دهشته الشديدة ، وخوفه مما يرى!.....

(أبى هلا انتظرت للحظة ؟.....

إلى أين تذهب يا بنى ؟.....

سأعود حالا ، يمكنك أن تأتى معى إن أردت.....

حسنا لنذهب.....

السلام عليك يا جدّى ، هل أنا أعرفك ؟.....

عليك السلام يا بنى ، لا أعتقد ذلك ، فهى المرة الأولى التى أراك فيها!.....

أمتأكد من قولك ؟!.....

نعم يا بني ، أنا لا أستطيع القيام بجسدى المتهالك كما تراه ، وشيب شعرى يوحى بأن ذاكرتى ليست قوية ، لكنى متأكد من أنى لم أرك من قبل!.....

حسنا يا جدي ، أعتذر على إزعاجك.....

لم تزعجنى يا بني.....

ذهبا الإثنان معا يكملنان مسيرتهما إلى الطبيب ، ولكن فور إستدارة هشام للجهة الأخرى ؛ كشف ذلك الجد عن ابتسامة له هى أقرب إلى أن تدل على المَكر!.....وتلك الفقاقيع التى يراها هشام لم تكن جديدة عليه! ؛ فهو يتذكر أنه رآها بعد حادثة ماجد التى تعرض لها أثناء سيره!..... كان يرى أفكار الناس ، ويسمعها!.....

ولكن لما أنا أراها الآن ؟!.....تسائل هو عن السبب ،

مازالت تلك النظرة تصحبه ، يلتفت يمينا ويسارا ، ينظر لتلك الفقاقيع التى تخرج من رؤوس الناس مصحوبة بأصوات صاخبة جدا!!.....

وضع يديه على أذنيه من شدة الأصوات التى يسمعها هو فقط!.....يتالم! ، يصرخ!.....

(بني! ، ما الذى يحدث لك ؟.....

لا تُكرر كلامك يا أبى!! ؛ فلقد قلت تلك الجملة كثيرا ، أنا لا أدرى ما الذى يحدث لى!!.....أسمع أصواتا كثيرة من حولى! ، وهى عالية جدا!!..... أرى كل ما يدور فى العقول يا أبى!!.....أنا أقرأ الأفكار!.....

"تمت"

خاتمة

والآن.....

دعك من كل ما قرأت! ، بل انساه! ، ولا تتذكر منه شيئا أبدا!.....

فتلك الحروف أنا لا أعلم لها سبيلا من أين ، ولا كيف جاءت! ،

فقط هى أرادت ان تُكتب وتُقرأ! ، والحق يُقال ، فأنا أيضا أردت أن أَكتُب ،

وهذا كل ما فى الأمر ، وليس غير ذلك!.....

" والسلام "

ه...ذ...ه...ا...ل...ح...ر...و...ف...ت...خ...ت...ل...ف...ع...ن...غ...ي...ر...ه...ا...ف...ه...
ى...ت...ك...و...ن...ك...ل...م...ا...ت...م...س...ت...ح...د...ث...ة...و...ل...م...ي...س...ب.
..ق...ا...س...ت...خ...د...ا...م...ه...ا...م...ن...ق...ب...ل...

أعنى أننى أستطيع التواصل مع آخرين يفهموا هذه الحروف ، بل ويخبروننني بكلمات أحدث ، وبأمور هى أشد غرابة مما نعلم!

النكرومانسر الحق ؛ لا يجازف بالكشف عن نفسه

وقارئ الأفكار ؛ يبتعد عن كل مَن حوله

وقائد الجيش ؛ يأمر....

أمّا عنّي ؛ فأنا أحلم!.....أحلم فقط ، وأسرد أحلامي على الورق ؛ ليقرأها العابرون مثلك.

هشام رمضان شحاته

01158087673

https://t.me/Takhareaf